مجلة البيان – العدد 69 ، جمادى الأول 1414هـ / نوفمبر 1993م

كلمة صغيرة

الـمـتـداعـــون على السلام مع العدو الصهيوني كتداعي الذباب على الشراب هل هم حقاً يعرفون (يهـود) حق المعرفة؟ أم أنهم تعبوا من (الكفاح الصوتي) منذ عام 1948؟. الحقيقة أنهم لا يعرفــون (العدو) فعلاً لاسيما حتمية وقوع ملحمة كبرى بيننا وبينهم سيكون النصر فيها للمسلمين. وحتى ننتصر على هذا العدو لا بد أن نعرفه حق المعرفة وألا نضلل أجيالنا بالأكاذيب مثــل (حتمية السلام) و (الدعوة لإزالة الحاجز النفسي) و (التفريق بين اليهود والصهاينة) فلابــد من إعداد العدة ، وما علينا أن ندرك شرف (نداء الشجر والحجر) بل حسبنا أن نكون عاملين في سبيل الوصول إليه ((وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ الله)) .

الافتتاحية

من كان يظن أن لن ينصره الله

التحرير

والآن ، أسفر صباح الحقيقة ، وتبين الخـيــط الأبيض من الخيط الأسود في مستقبل قضية فلسطين ، واستسلمت كل الرايات ، ورضي رئـيـس مـنـظـمـة التحرير أن يبيع كل شيء، الـتـاريخ ، والحق ، والعدل ، ودماء الشهداء ، ومستقبل الأجيال ، والقدس ، مقابل أن ينصبه إسـحـــق رابـيـــن رئيساً لبلدية "أريحا" ، وفوقها "غزة" مجاناً ، إذ من المعلوم أن إسرائيل قد عرضتها مجاناً لمن يقبل منذ أشهر ، لولا تدخل بعض الوسطاء بطلب التأجيل حتى لا تقع في يد الأصوليين. إذن لقد نُكست الرايات جميعها ، الوطنية ، والشيوعية ، والاشتراكية ، والقومـيـة ، والثورية عدا بعض الجهات اليسارية المعارضة ، وموقفها ظل لموقف إحدى الدول العـربية ، والمتوقع تغييرها له بتغير رأي تلك الدولة نفسها ، وبقيت راية واحدة تعلن الرفـــض ، وتتمسك بثوابت التاريخ والحق ، وتفي وتحمل الأمانة إلى الأجيال القادمة ، تلك هي راية الإسلام ، وأولئك هم أبناء الصحوة الإسلامية المجاهدة في فلسطين وفي أرض الله الواسعة كذلك.

ومما هو جدير بالتذكر الآن ، أن هــــذه الرايات المنكوسة ، هي ذاتها التي حاربت راية الإسلام على مدى نصف قرن ، وقـهـرت كل من حاول رفعها في

العديد من ديار الإسلام ، وذلك باسم "قضية فلسطين" ، "ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة" ، ومنذ ذلك التاريخ ، وفلسطين تضيع قطعة قطعة ، حتى أتى (آخر الثوار) ليسلم رايته مقابل "عزبة"!.
إن الغضب الإسلامي مشروع ولا ريب.. الغـضــب لله ولدينه ولحرماته ولمسجده الأقصى ، ولكن الذي ينبغي الحذر منه، أن يصبح الغضب فورة عاطفة ، وانفلاتة أعصاب ومشاعر، دون أن تقـنـن هذه العاطفة وتلك المشاعر في خطط جديدة طويلة الأمد ، ندير من خلالها صراعنا الجديد/القديم مع اليهود ، ونظام الظلم العالمي الجديد.
إن ما حدث أخيراً، هــــو مفـتــتـح جديد للتاريخ،بالقدر نفسه الذي يمثل نهاية مرحلة وتاريخ، وهذا التاريخ الجديد ، يـتـحـمــل فيه الإسلاميون -وحدهم - عبء المواجهة ، وتبعات الجهاد الأكبر ، وفي الصفحة الأولـى من صفحات التاريخ الجديد ، نقرأ المعالم التالية :
أولاً: إن قضية فلسطين ليست - كما يدعي الـسـاقـطـون اليوم - شأناً فلسطينياً مجرداً ، وذلك ليقطعوا فلسطين -حكماً- عن الإسلام وعالمه ومجاهديه، بعد أن قطعوها عملياً عنه، بل إن (فلسطين) شأن كل مسلم ، والإثم يلحق الأمة بأسرها إذا فرطت فيها.
ثانياً: إن قضية فلسطين ليست قضية جيل من الأجيال ، يبيع فيها ويشتري ، وإنما هي ميراث أجيال مضت ، وحقوق أجيال قادمة ، وإذا عجز جيل عن الوفاء بحقها ، فحسبه أن يعلن عجزه، ويخلي السبيل لغيره من الأجيال الجديدة ، فالعجز ليس - دائماً عيباً ، طالما استنفذت الجهود ، وأدى المؤتمنون الأمانة ، وإن العيب كله أن يأبى العاجز ، إلا أن يفرض عجزه وهزيمته على الأجيال كلها ، سابقها ولاحقها.
ثالثاً: إن شيئاً كبيراً من الجهاد المتعلق بفلسطين ، لا بد أن يتوجه إلى العقول والمشاعر ، لكي تظل رسالة الجهاد والتحرير في خواطر الأجيال لأن "الخطر" ليس في الهزيمة على الأرض ، أو ضياع جزء منها في زمان ما فهذا كله من عوارض المواجهة ، وتداول الأيام ، وإنما الخطر كله أن تصبح الهزيمة في النفوس والعقول والأفكار ، فهذا هو الضياع وهذا هو "القبر" الحقيقي لقضية فلسطين.
إن التجبر الــذي بلـغــه "يهود" الآن ، واستعلاءهم في الأمة ، والأوضاع التي آلت إليها موازنات القوى في العالم الـيــــوم ، بما في ذلك المنطقة العربية ، يؤذن بصعوبة المهمة ، وجسامة التحدي ، وأيضاً - وهذا هو المهم - يؤذن بأن "الوقت" هو سلاح جوهري في هذه المواجهة،فالواضح حتى الآن، أن الأمر سيطول، وصاحب النفس الأطول هو المؤهل لكسب السباق ، وقـصــر الـنـفــس واستعجال النصر واستصعاب المسافة ، كلها مورِّثات للعجز ،

ومثبطات للعزائم ، وعجــز العاجزين ينتهي -عملياً- إلى ذات النتيجة التي ينتهي إليها فجور الفاجرين.
عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قـــال : »كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم ، كما تنفرج المرأة عن قُبُلها لا تمنع من يأتيها« ، قالوا: لا ندري! ، قال : »ولكني والله - أدري - أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر«(1).
نسأل الله البراءة من عجز العاجزين ، وفجور الفاجرين.

رابعاً : إن الثقة بنصر الله ، وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله ، هي زاد الطريق ، ومفتاح الأمل ، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق زاد الطريق ، ومفتاح الأمل ، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفـــــاق الرحلة ، وتبقى "لحظة النصر" و "بشارة التمكين" حية شاخصة في رؤى المجاهدين ومشاعرهم ، وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره ، فقد خسر خسراناً مبيناً ، ومن تشكك فيها لحظة ، فقد تأخر عليه النصر على قدرها ، ((مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِــرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَــــاتٍ بَـيِّـنَــــاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَـهْــدِي مَن يُرِيدُ)).(2)

الهوامش :

(1) رواه ابن ابي شيبة في مصنفه ، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وهو عند أحمد "المسند" بلفظ قريب ، وصححه أحمد شاكر في التعليق على المسند.
(2) سورة الحج / الآيتان 15 ، 16..

مصطلحات

الشرك

عثمان جمعة ضميرية

خلق الله تعالى هذا الإنسان على فـطــرة التوحيد والإسلام متهيناً لقبول الدين ، فلا يعدل عن هذا وينحرف إلا لآفة تنحرف بهـــذه الفـطــرة وذلك عندما تتضافر جملة من العوامل التي تساعد على الانحراف ، فيقع الإنسان عندئذ في واحدة من صوره كالشرك والنفاق. وسنقف - إن شاء الله تعالى - على كل واحدة من هاتين الصورتين بكلمة تعريفية موجزة، تحدد معناها اللغوي والاصطلاحي ، وأصل نشأتها ، وبعض صورها.

-1-

إذا استنطقنا كتب اللغة وجدنا أن "الشين والراء والكاف" أصلان يدل أحدهما على اقتران وعدم انفراد... وهو أن يكون الشيء بين اثنين ، لا ينفرد به واحد منهما.

يقــال : »شــاركتُ فلاناً في الشيء ؛ إذا صرتُ شريكه. وأشركتُ فلاناً : إذا جعلته شريكاً«
والشرك أيضاً : إسناد الأمر المختص بواحدٍ إلى من ليس معه أمره. يقال : أشرك بالله : جعل له شريكاً في ملكه -تعالى الله عن ذلك -... ومن عدل بالله تعالى شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك ؛ لأن الله وحده لا شريك له ، ولاندّ له ولا نديد(1)

-2-

وفي الاصطلاح الشرعي : يطلق لفظ الشرك على نوعين :
أحدهما : إثبات شريك لله تعالى ، وهو الشرك الأكبر.
والثاني : مراعاة غير الله تعالى في بعض الأمور ، وهو الشرك الأصغر.
فالشرك الأكبر وهو أن يتخذ مع الله تعالى ، أو من دون الله ، إلهاً آخر ، يعبده بنوع من أنواع العبادة.
قال ابن القيم: "والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين".(2)
وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ :
»الشرك قد عرّفه النبي -صلى الله عليه وسلم- بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال يا رسول الله : أي الذنب أعظم؟ قال : »أن تجعل لله نداً وهو خلقك« أخرجه البخاري ومسلم ، والند : المثل والشبيه ، فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد وينافيه«.(3)
وعرّف الشيخ عبد الرحمن السعدي هذا الشرك بتعريف جامع مانع قال :
»إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله ، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط الذي لا يشذ عنه شيء«.(4)
وهذا أعظم الشرك والظلم، ولا يغفره الله لصاحبه إن مات عليه،لأنه يناقض أصل التوحيد ويخرج صاحبه عن الملّة ، ويحبط عمله ، ويخلّد في النار. وإذا أطلقت كلمة الشرك فإنها تنصرف إلى هذا النوع منه.

-3-

وأصل هذا الشرك ومنشؤه هو : تسوية غير الله بالله تعالى ، أو هـــو تشبيه غير الله بالله تعالى في صفة من الصفات التي يختص بها ؛ مما لم يعهد في جنس الإنسان ، فالذي يعبد كائناً ما من دون الله فيدعوه أو يطلب منه الشفاعة أو يخافه ، أو يتخذ حكمه شرعاً له... إنما يفعل ذلك لأنه يعتقد أنه صاحب سلطة وحكم على الخلق..

يقول ابن تيمية : »وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور ، فمـن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك«.(5) والصورة الواضحة الجلية لهذا الشرك هي عـبـادة الأصنام ، التي كانت تتخذ سابقاً في عصور الجاهلية القديمة من حجر أو خشب... ولـكـنـهـا تظهر في عصور أخرى بمظاهر شتى قد تكون مذهباً من المذاهب الفكرية ، أو الاقتصادية وقد تكون أهواء وشهوات يخضع لها الناس فيتخذونها آلهة.. وقد تكون الأصنام مجموعة من القيم الاجتماعية والمادية التي تسيطر على الناس ، على ما حكاه الله تعالى عن أقوام فقال : ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ وأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)) [الجاثية:23]
((مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وهُمْ فِيهَا لا يُبْـخَـسُــونَ * أُوْلَئِكَ الَذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ وحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [هود:15،16].

-4-

ويبحث العلماء تحت هذا الشرك أنواعاً من العبودية لغير الله ، كشرك الدعاء سواء كان دعاء عبادة وثناء ، أو دعاء طلب ومسألة ، مما لا يجوز أن يتوجه به إلا لله تعالى وحده ، لأن الدعاء هو العبادة.
وكذلك شرك العبادة والتقرب الذي يظهر جلياً وواضحاً في عبادة الأصنام وإعطائها بعض خصائص الألوهية ، أياً كانت هذه الأصنام وبأي صورة ظهرت.
ولا يقل عن هذا اللون من الشرك ما يسمى أيضاً بشرك طلب الشفاعة من غير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.. وكتب العقيدة والتوحيد أفاضت في بيان ذلك كله.
وتبقى ألوان أخرى من الشرك الأكبر قد تكون اتسعت دائرتها في العصور الأخيرة ، أكثر مما كانت في عصور سابقة ، وذلكم هو شرك الطاعة والاتباع ، وشرك المحبة والنصرة.

-5-

فقد اتفق العلماء على أن الحكم لله وحده سبحانه وتعالى ، فهو المتفرد بالخلق فينبغي أن يكون متفردا بالأمر. فلا أحد يستحق أن ينفذ حكمه على الخلق إلا من كان لــــه الخلق والأمر - سبحانه وتعالى - فإنما النافذ حكم المالك على مملوكه، ولا مالك إلا الله الخالق، فــلا حكم ولا أمر إلا له. أما غيره سبحانه ، فلا يجب شيء بإيجابه ، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم (6).
وقـــد تواردت النصوص الشرعية تؤيد هذا المنطلق السليم وتؤكده ، فهي تُلْزِم البشر باتباع ما جاء من عند الله تعالى ، وتحرِّم عليهم تحريما قاطعاً اتباع ما يخالفه : ((اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وأَعْرِضْ عَنِ

المُشْرِكِينَ))[الأنعام:106] ، ((اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ))[الأعراف:3]...
والآيــات فـي ذلـك كـثـيـرة تعزُّ على الحصر.. توجب الحكم بما أنزل الله وتحكم بالكفر والفسق والظلم على كل من يخالف حكم الله تعالى.
ولذلك كان كل من أطاع مخلوقاً في تحريم الحلال أو تحليل الحرام - وهو متبع له في هذا التبديل - فهو مشرك شرك الطاعة والانقياد والاتباع (7).
وقد حكم الله على اليهود والنصارى بالشرك لاتباعهم الأحبار والرهبان واتخاذهم أرباباً من دون الله ، ثم بيَّن النـبــي -صلى الله عليه وسلم- ذلك بياناً واضحاً ببيان ما هية العبادة التي وقعوا فيها.(8)
وهذا النوع من الشرك يعم اليوم أصقاعاً وبقاعاً كثيرة في بلدان العالم ، بعد تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم في شــــــؤون الحياة كبيرها وصغيرها ، وحصرها في جوانب ضيقة ، واستبدلوا بها القوانين الوضـعـيــة التي ارتضاها الناس لأنفسهم بمعزل عن دين الله تعالى وشرعه. ولذلك كان من الواجب العناية بهذا اللون من الشرك وبيان خطورته ، وإن كان ذلك سيؤدي إلى تكاليف باهظة يحتسبها المسلم عند الله تعالى.
وأما شرك المحبة والنصرة والولاء فيكون عندما يتوجه الإنسان بالمحبة لغير الله تعالى ، إذْ من مقتضيات التوحيد وأصول العبادة أن نفرد الله تعالى بالمحبة التي لا تصلح إلا له »وهي حب طاعته والانقياد لأمره« وإلا وقع الشرك الذي جاء التحذير منه ، عندما تكون المحبة لأعداء الله ، عند موالاة الكافرين ونصرتهم ، لأن في ذلك نقضاً للميثاق ولكلمة التوحيد ، وخروجاً على مقتضيات الإيمان :((لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ))[آل عمران:28] ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإنَّهُ مِنْهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ))[المائدة:51].
وأما تعريف الشرك الأصغر فهو ما أتى في النصوص الشرعية أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.
ومن أمثلة هذا الشرك : التطير ؛ وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ لم والبقاع وغيرها.
ومن الشرك الأصغر : شرك الألفاظ كالحلف بغير الله ، وقول أحدهم: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان... إلخ..
ومن الشرك الأصغر : يسير الرياء لقوله -صلى الله عليه وسلم- : (إن يسير الرياء شرك). وفي ختام هذه المقالة ندعو بما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله: »اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم«.

الهوامش :

(1) معجم مقاييس اللغة : 3 / 365 ، لسان العرب : 10/449 - 450 .

(2) مدا رج السالكين :1 / 339.
(3) الدرر السنية :2/153.
(4) القول السديد :43.
(5) الاستقامة:1/344 .
(6) المستصفى لغزالي : 1/ 83 ، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : 1/ 76 ، مسلم الثبوت :1 / 5 2 ، وشرح الكوكب المنير: 1/ 484 ، قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام :1/157- 158.
(7) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية:1/97 ، 98 ،14/ 328 ، 7/70. وتيسير العزيز الحميد (543).
(8) انظر: تفسير الطبري 4 1/210-211 ، والبغوي : 4/ 39 ، تفسير ابن كثير: 3/122-123. مفاهيم ينبغي أن تصحح ، للأستاذ/ محمد قطب ، فصل "مفهوم لا إله إلا الله" .

دراسات أصولية

ســـد الذرائـــع
-2-

هيثم الحداد

استدل العلماء على هذه القاعدة (سد الذرائع) بالنقل والعقل،والمتأمل في هذه الأدلة يجدها تفيد القطع بصحة القاعدة في الجملة.

أما النقل : فيستدل به من عدة أوجه :(1)

أولاً: الله عز وجل إذا حرم شيئاً حرم أسبابه ووسائله ، ولا يعقل كما يقول ابن القيم - رحمه الله - أن يحرم الله شيئاً ويبيح أسبابه ووسائله المفضـيـة إلـيه وهذا واضح في أمور كثيرة. بل إن الشريعة تؤكد على تحريم الوسائل والأسباب إذا كان مـــا تـــؤدي إلـيه من الكـبـائـر ، وأمثلة هذا النوع وشواهده كثيرة جداً ، فقد حرم الله عز وجل الكفر ، وحرم أسبابه ووسائله حتى يصون المؤمنين ، ويبعدهم أشد البعد عن هذا الظلم العظيم. ومن أهم أسباب الكفر اتباع خطوات الشيطان ووسائله ، فحذر الله - عز وجل - من هذه الوسائل، بعدة طرق ، وفي مواطن كثيرة جداً ، قال الله تعالى :((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))(2). ونهى الله - عز وجل - عــــن اتخاذ المشركين أولياء ، لأن هذا من أسباب محبتهم ومحبة دينهم وهو من ذرائع الكفر ، قال تعالى ((لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ))(3). وقال ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ))(4). وبيّن سبحانه وتعالى علة النهي فقال : ((ودُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ))(5)

كما نهى سبحانه وتعالى عن الإقامة بين أظهرهم ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »أنا بريء مـن كـــل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله ولمَ؟ قال : لا تراءى نارهما(6) عـــن مخالطتهم ، لأن مخالطتهم تؤثر على الإيمان ، وتضعف بغضهم وبغض دينهم ، قال رســـــول الله - صلى الله عليه وسلم :- »لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم ، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم«.(7)

بل إنه سبحانه وتعالى نهى عن مشابهتهم للأسباب نفسها أيضاً واستفاضت النصوص في التحذير من ذلك ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: »من تشبه بقوم فهو منهم«(8) ، بل قد حرمت الشريعة أموراً لكونها تشبها بالكفار ، ومن ذلك تحريم التشبه بهم في الملبس والمأكل ، ومنها الصلاة في أوقات معينة ، وغير ذلك كثير.

وبعد فقد حذرت الشريعة أشد التحذير من المعاصي ومقارفتها لأنها بريد الكفر.

ومثل ما تقدم في تحريم الكفر وذرائعه ، والزنا وذرائعه ، كان تحريم الربا وشرب الخمر وذرائعهما ، إلى غير ذلك من المحرمات.

وكل هذه الشواهد تفيد القطع بأن الشريعة إذا حرمت شيئاً حرمت ذرائعه.

ثانياً : وهذا الوجه من أقـــوى وجوه الاستدلال على هذه القاعدة وأوضحها ؛ إذ جاء الشرع بتحريم وسائل لاشك في إباحتها لو تجردت عما أفضت إليه - وقد تتجرد فترجع إلى أصل الإباحة. وانما حرمها الشارع ، لعلة إفضائها إلى محرم وأدلة هذا الوجه كثيرة أيضاً ، لكن دلالاتها تختلف قوة وضعفاً ، بل قد نازع فيها بعض العلماء ؛ لأن تلك العلل غير منصوص عليها ، فلم يتفقوا مع غيرهم على أن علة التحريم هي إفضاؤها إلى محرم ، فكأنهم جعلوا النهي تعبدياً ، أو بنوه على علة أخرى.

من أجل هذا سأقتصر هنا على تلك الأدلة التي نصت على أن علة تحريم هذه الوسائل إفضاؤها إلى محرم.

الأدلة من الكتاب :

1- قال تعالى ((ولا تَسُبُّوا الَذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ))(9).

ووجه الاستدلال أن الله - عز وجل - حرّم سب الآلهة مع أنه عبادة ، وعلل هذا المنع بكونه ذريعة إلى سبهم له -جــل وعلا- فمصلحة تركهم سب الله - سبحانه - راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم.(10)

فالوسيلة هنا هي سب آلهة الـمـشـركين ، وأقل أحوالها الاستحباب ، ويغلب على الظن إفضاؤها إلى سب المشركين لله - عز وجل -.

2- قال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَـنُــوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ))(11) وجه الاستدلال: أن هذا النص ظاهر في المنع من السؤال المباح ، إذا

خيف إفضاؤه إلى محظور، خاصة إذا علم سبب نزول الآية : وهو أن رجلاً قال : يا رسول الله من أبي؟ قال: فلان، فـقـالـــت له أمه : ما سمعت بابن أعق منك أظننت أن تكون أمك قارفت ما يقارف نساء الجاهلية ، فتفضحها على أعين الناس فقال : والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت .

وأما السنة فالشواهد كثيرة جداً منها:

1- تركه -صلى الله عليه وسلم- قتل المنافقين ، مع أن في قتلهم مصلحة كبيرة ، ثم علل ذلك بقوله »حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه«.(12)

2- وكـــذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - لعائشة رضي الله عنها-: »لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين، باب يدخل منه الناس،وباب يخرجون«(13) وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله »باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه ، فيقعوا في أشد منه«(14).

ثالثاً : جاءت الشريعة بالحث على ترك الشبهات ؛ لأن ارتكابها ذريعة إما إلى الوقوع في الحرام بغير قصد ، وإما إلى اتخاذها مطية لأغراض فاسدة ، فمن احتاط لنفسه ، لم يقرب الشبهات ، فلا يقع في واحد من هذين المحظورين.
وقد حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ترك الشبهات في أكثر من حديث ، منها الحديث الـمـشـهـور عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- ، وموطن الشاهد منه : »فمن ترك الشبهات فـقـــد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام«.(15) ، وحديث »دع ما يريبك إلى ما لا يريبك«(16) .

ومظاهر العمل بترك الشبهات ، الذي هو عمل بسد الذرائع، كثيرة جداً يطول استقصاؤها ومن صورها:

1- أن الشرع حث المسلم على اجتناب مواطن التهم حتى لا يتعرض لإساءة الظن بدينه ، ومن ذلك قصته - صلى الله عليه وسلم - وصفية -رضي الله عنه- حين أراد أن يودعها إلى أهلها فرآه اثنان من الصحابة، فأسرعا، فقال لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »عـلـــى رسلكما ، إنها صفية بنت حيي« فقالا: سبحان الله ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسـلـــم- »إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً«(17)

2- حديث امتناعه - صلى الله عليه وسلم - أن يأكل التمرة التي رآها ملقاة خشية أن تكون من الصدقة«(18).

رابعاً : أن الله - عز وجل - توعد بالعقاب من يحتال إلى الممنوع بفعل جائز فدل ذلك على تحريم الفعل الجائز إذا كان يتوسل به إلى ممنوع ، وهذا هو عين سد الذرائع.

ومن أشهر أمثلة ذلك : أن الله - جل وعلا- ذم أصحاب السبت ؛ لأنهم احتالوا على ما حرمه عليهم مــن صيـــد الحيتان يوم السبت ، وابتلاهم الله - عز وجل - بأن جعل الحيتان تأتيهم يوم السبـــت شرعاً (ظاهرة) ، ولا تكون على هذه الحالة باقي الأيام ، فاحتالوا على ذلك ؛ بأن حفروا لها حفراً في البحر تحجزها ليسهل عليهم صيدها في باقي الأيام.(19)

وأما العقل : فيمكن إجمال اعتبار العقل لقاعدة سد الذرائع بكلام ابن القيم - رحمه الله - حيث يقول: »لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها ، معتبرة بها ، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غايتها ، وارتباطها بها ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن بها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود ، لكنه مقصودٌ قصدَ الغايات ، وهي مقصودةٌ قصدَ الوسائل ، فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ، ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه ، وتثبتاً له ، ومنعاً أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل المفضية إليه لكان ذلك نقصاً في التحريم،وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى تأبى ذلك ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه فقد أفسد منعه ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده.

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه ، وإلا أفسد عليهم ما يرومون إصلاحه،فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمـــل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سدا الذرائع المفضية إلى المحرمات بأن حرماها ونهيا عنها«(20)

أمثلة وتطبيقات على سد الذرائع :

قبل ذكر هذه الأمثلة لابد مــــن التنبيه على أمر مهم جداً ، وهو أن تطبيق هذه القاعدة والعمل بها -وهو ما يُعرف بتحقـيــق المناط الذي من معناه تحقيق وجود العلة في الواقعة حتى يُـبـنـى علـيهــا الحكم - لا يمكن أن يكون صحيحاً إلا بمعرفة واقع المسألة معرفة جيدة، وهو ما أطلـــق علـيـه ابن القيم - رحمـه الله - الفقه في الواقع ، فحتى نخرج بتطبيق صحيح لهذه القاعدة، لابد أن نميز درجة إفضاء الأمر الجائز إلى الممنوع، وتحديد درجة الإفضاء هذه تختلف فيه التقديرات اختلافاً كبيراً، كل بحسب ما وصل له، أضف إلى ذلك أن تقدير متعلق الوسيلة بأمر حاجي أو ضروري ، وكذا المتوسل إليه ، أمر قابل لاختلاف وجهات النظر.

فمن أمثلة تطبيق هذه القاعدة في حياة السلف مما يشابه واقعنا:

1 - الحرص على الوحدة والائتلاف ، ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف.

وهذا من أعظم الأصول التي دعت إليها الشريعة وطبقها السلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم- ، فظهرت آثار المحافظة على هذا الأصل في مواقــف كثيرة ، منها مثلاً تركهم بعض المباحات ، بل بعض السنن من أجل عدم التفرق والاختـتـلاف ، وهذا من فقههم -رحمهم الله تعالى- ، فواجب على من سار على سبيلهم أن يقـتــدي بهم في ذلك ، ومن أمثلة ما نقل عنهم في هذا الباب ، قصة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- في صلاته خلف أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بمنى إتماماً مع أن السنة القصر ، فلما قيل له في ذلك قال : »الخلاف شر«.
ومن أجل ذلك نرى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يقرر أنه »يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك مثل هذه المستحبات لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا«.
ومن هذا ما يقع الآن بين الدعاة وطلبة العلم من رد هذا على ذاك. إن الرد على المخالف، مشروع في الجملة ، وهو سنة الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على هذا من أكــابــر العلماء ، إلى يومنا هذا.
لكن هل هذا الأمر على إطلاقه؟ فهل يكون الرد على المخالف مشروعاً حتى وأن أفضى إلى فساد ، أو منكر أكبر؟
إن الرد على المخالف وسيلة ، القصد منها إظهار الحق لازهاق الـبـاطــــل ، وإعلاء كلمة الدين ، لكن هذه الوسيلة قد تأتي بضد ما شرعت لأجله ، فيحصل بسبب هذا الرد تفريق الأمة، واقتتالها فيما بينها ومن ثم ضعفها، واستطالة الأعداء عليها، ومن ثم ذهاب بيضة هذا الدين ، فهل يبقى الرد عندئذ على المخالف مطلوباً مشروعاً؟
هذه مسألة تحتاج إلى بحث ونظر ، حسب القواعد والضوابط الشرعية ، وحسب الواقع ، ولا يتسع المجال لعرضها في هذا المقال ، وأدعو الأخوة الباحثين والدعاة وطلبة العلم ، أن يبحثوا هذه المسألة بحثاً علمياً مؤصلاً.
ولا مــانـــع هنا من أن نعرض بعض ما يجب مراعاته في دراسة هذه المسألة مما له صلة ببحثنا.
الرد على المخالف في المسائل الاجتهادية كطرائق الدعوة مثلاً ، أكثر ما يقال فيه أنه وسيلة مـشـــروعـــة ، لا تصل إلى الوجوب ، إذا غلب على الظن أداؤها لحدوث تدابر وتباغض بين المسلمين وإنما تسد ؛ لأنها ذريعة إلى أمر ممنوع.
لكن ما حكم الرد على المخالف في غير المسائل الاجتهادية ، إذا أدى إلى حدوث ذلك الفساد؟ ينبغي أن ينظر إلى حجم المخالفة ، ثم مدى تأثر الناس بها ، وحجم المصلحة الناتجة من هذا الرد ، ثم حجم الفساد الذي أفضت إليه هذه الذريعة ، وكذلك درجة إفضاء هذا الرد لهذا الفساد.

الأمر بمجانبة أهل الأهواء والفساد ، لقد سبق القول إن الشرع حث المسلم على عدم مخالطة المشركين ، لأن ذلك ذريعة لمحبتهم أو محبة دينهم ، وكذلك فإن مخالطة أهل الأهواء ذريعة إلى التأثر بهم ، أو دخول بعض شبههم إلى قلبه ، وأقل ذلك الخوض معهم في باطلهم ، ومثل مخالطتهم ، قراءة كتبهم والنظر فيها ، لذلك فقد جاءت نصوص كثيرة عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف في التحذير من ذلك ، وأقوالهم في ذلك كثيرة حتى كانت مجالاً رحباً للتصنيف ، وما ذلك إلا عملاً بسد الذرائع ، من أشهر ذلك قصة عمر بن الخـطـــــاب -رضي الله تعالى عنه- مع صبيغ بن عسل ، حينما كان يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين ، فأمر الناس باعتزاله ، حتى رجع عن ما هو فيه ، ثم أذن عمر للناس بمخالطته.
وقال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: »لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ، ما تتبعه عليه فتهلك ، أو تخالفه فيمرض قلبك«.
وعن أبي قلابة -رحمه الله تعالى- »لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالاتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون« قال أيوب : وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب.(21)
حدثوا الناس بما يعرفون كما قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ، قال ابن حجر معلقاً: »وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة...« ثم قال : »وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج قصة العرنيين لأنه اتخذها ذريعة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم«.(22)
ليس كل ما يعلم يقال وإن كان حقاً ، كما قال كثير بن مرة الحضرمي : »إن عليك في علمك حقاً كما أن في مالك حقاً ، لا تحدث بالعلم غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيقتلوك«(23). وهذا واضح في حديث معاذ. أفلا أبشر الناس؟ قال : "لا فيتكلوا" . وعن عبد الرحمن بن عوف أنه قال محدثاً عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : »لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل فقال : إن فلاناً يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلاناً ، فقال عمر : لأقومن العشية ، فأحذر هؤلاء الرهط ، الذين يريدون يغضبوني ، قلت : لا تفعل ، فإن الموسم ، يجمع رعاع الناس ، ويغلبون على مجلسك ، فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها فيطيروا بها كل مطير ، وأمهل حتى تقدم المدينة ، دار الهجرة ، ودار السنة ، فتخلص بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار ، ويحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها ، فقال : والله لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة«.

وتطبيقات سد الذرائع أكثر من أن تحصى ، ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- »وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، فإنه أمر ونهي والأمر نوعان ، أحدهما مقصود لنفسه ، والثاني وسيلة إلى الـمقصود ، والنهي نوعان أحدهما ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه والثاني ما يكون وسيلة إلى المفسدة ، فصار سد الذرائع أحد أرباع الدين).
هذا ما تيسر والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وأله وصحبه وسلم.

الهوامش :

(1) انظر :الفتاوى الكبرى (المصرية) لابن تيمية : وأعلام الموقعين لابن القيم 3/ 103 ، وسد الذرائع للبرهاني 329.
(2) البقرة : آية 168
(3) آل عمران : آية 28
(4) الممتحنة : آية 1
(5)النساء: آية 89
(6) رواه أبو داوود ، كتاب الجهاد 3/105 رقم 2645 ، والترمذي في السير 5/329 رقم 1604 ، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم 1474.
(7) رواه أبو داوود ، كتاب الجهاد 3/224 رقم 2787 ، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم 6062.
(8) رواه أبو داوود ، كتاب اللباس 4/314 برقم 4031 ، والإمام أحمد في المسند 7/142 رقم 5114 (تحقيق أحمد شاكر) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال شيخ الإسلام : إسناده جيّد كما في اقتضاء الصراط المستقيم 1/236.
(9) الأنعام : آية 108
(10) الفتاوى الكبرى 6/ 174
(11) المائدة : آية 101
(12) انظر: تفسير القرطبي 6/330 وما بعدها
(13) انظر مناسبة الحديث في الاستيعاب لابن عبد البر 3/ 941
(14) رواه مسلم وغيره
(15) رواه مسلم
(16) رواه أحمد والنسائي والطبراني في المعجم الكبير
(17) أعلام الموقعين 3/ 147.
(18) انظر : مجموع الفتاوى 22/405 - 407
(19) الاعتصام 130 ، وانظر اللالكاني في السنة رقم 244 ، وعبد الله بن أحمد في شرح السنة 18.
(20) فتح الباري 1/ 272
(21) الاعتصام 2/ 14

(22) الموافقات 4/190
(23) أعلام الموقعين 3/171

من فقه الدعوة

فن معالجة الأخطاء

عبد الله آل سيف

ترصد الشركات الغربية الكـبـرى أمـــوالاً ضخمة لدراسة علم العلاقات الإنسانية ، الـذي يشمل : فن معالجة الأخطاء، وفن التعامل مع الآخرين، وفن كسب القلوب، وفن الإقناع، وفـــن قـيادة الآخرين ، وتنشئ لهذا الغرض معاهد مستقلة ، وتدعم البحوث والدراسات المتعلقة به ؛ لأنه يخدم مصالحها وأهدافها في الاتصال بالجماهير ، ولا تكاد تخلو شركة من الشركـات من قسم العلاقات العامة الذي يوظف فيه أناس متخصصون في هذه العلوم ، أو ما يحلـو [لديل كارينجي] أن يسميهم : "كاسحي الألغام" ، الذين يتولون أمور زبائن الشركة الـمـشـاغـبـين والمتعبين ، ويحلون مشاكلهم ، ويكسبونهم إلى صفهم ، ولا شك أن الدعاة أولى الناس بدراسة هذه العلوم، لأن طبيعة عملهم هي الاتصال بالآخرين،ومعالجة أخطائهم. وسوف أحاول هنا طرق أبواب ذلك العلم لإبراز بعض القواعد المهمة فـي ذلك ، ومحاولة شرحها ، وتأصيلها بالدليل الشرعي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

القاعدة الأولى:

اللوم للمخطئ لا يأتي بخير غالباً:

تذكَّرْ أن اللوم لا يأتي بنتائج إيجابية في الغالب ، فحاول أن تتجنبه ، وكما يقول أنس بن مالك _رضي الله عنه-: إنه خدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشر سنوات ما لامه على شيء قط ، وإذا حدثه في ذلك بعض أهله قال: »دعوه فلو كان شيء مضى لكانْ«، وفي رواية للطبراني قال أنس بن مالك: »خدمت رسول الله -صلى الله عليه وسـلــم- عشر سنين فما وُريت شيئاً قط وافقه ، ولا شيئاً خالفه«(1).

واللوم مثل الطيور مهيضة الجناح، التي ما إن تطير حتى تعوْد إلى أوكارها سريعاً، أو مثل السهم القاتل الذي ما إن ينطلق حتى ترده الريح على صاحبه فيؤذيه،ذلك أن اللوم يحطم كبرياء النفس البشرية ويكفيك أنه ليس أحد في الدنيا يعشق اللوم ويهواه.

وكم خسر العالم كثيراً من العباقرة وتحطمت نفسياتهم ؛ بسبب اللوم المباشر الموجه إليهم من المربين(2) قال معاذ بن جبل : »إذا كان لك أخ في الله فلا تماره«(3).

القاعدة الثانية :

أبعد الحاجز الضبابي عن عين المخطئ :

المخطئ أحياناً لا يشعر أنه مخطئ ، وإذا كان بهذه الحالة وتلك الصفة فمن الصعب أن توجه له لوماً مباشراً وعتاباً قاسياً ، وهو يرى أنه مصيب. إذن لابد أن يشعر أنه مخطئ أولاً حتى يبحث هو عن الصواب؛ لذا لابد أن نزيل الغشاوة عن عينه ليبصر الخطأ.
جاء شاب يستأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الزنا بكل جرأة وصـــراحـــة فهمَّ الصحابة أن يوقعوا به؛ فنهاهم وأدناه وقال له : »أترضاه لأمك؟!« قال : لا ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »فإن الناس لا يرضونه لأمهاتهم« قال: »أترضاه لأختك؟!« قال: لا ، قال : »فإن الناس لا يرضونه لأخواتهم«(4). فكان الزنى أبغض شيء إلى ذلك الشاب فيما بعد.
وكذلك في قصة مـعـاويــة بن الحكم حيث قال :بينما أنا أصلي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ عطس رجـــل من القوم فقلت : "يرحمك الله" ، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: "ما شأنكم تنظرون إلـي" فجـعـلــوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني سكت ، فلما صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبأبي هو وأمي -ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه- فـــوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: »إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنـمـــا هي التسبيح والتكـبـيــر وقـــراءة القرآن.(5)

القاعدة الثالثة :

استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح الخطأ:

إذا كـنـا ندرك أن مـــــن البيان سحراً فلماذا لا نستخدم هذا السحر الحلال في معالجة الأخطاء ! فمثلاً حينما نقول للمخطئ لو فعلت كذا "ما رأيك لو نفعل كذا" أنا اقترح أن تفعل كذا"عندي وجهة نظر أخرى ما رأيك لو تفعلها؟" وغيرها... فلا شك أنها أفضل مما لو قلت له : "يا قليل التهذيب والأدب ، وعديم المروءة والرجولة".. "ألا تفقه ".. "ألا تسمع ".. "ألا تعقل".. "أمجنون أنت"... "كم مرة قلت لك".. فلا شك أن الفرق شاسع بين الأسلوبين ،
وعندما نسأل أنفسنا أي الأسلوبين نحب أن يقال لنا ، فلا شك أننا نختار الأول فلماذا لا نستخدمه نحن أيضاً مع الآخرين؟! ولهذا كان النبي الكريم -صلى الله عـلـيـه وسـلــم- يـسـتـخـدم مثل هذا ، ففي حديث عائشة مرفوعاً »لو أنكم تطهرتم ليومكم«(6). وروى مسلم أيضاً مرفوعاً : »لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك«(7). والسر في تأثير هذه العبارات الجميلة ، أنها تشعر بتقدير واحترام وجهة نظر الآخرين ، ومن ثم يشعرون بإنصافك فيعترفون بالخطأ ويصلحونه(8).

القاعدة الرابعة :

ترك الجدال أكثر إقناعاً من الجدال :

تجنب الجدال في معالجة الأخطاء ، فهو أكثر وأعمق أثراً من الجدال نفسه وتذكر أنك عندما تنتصر في الجدال مع خصمك المخطئ فإنك تجبره في الغالب أو على الأقل يحز ذلك في نفسه ، ويجد عليك ويحسدك ، أو يحقد عليك فحاول أن تتجنب الجدال ، ولذلك فإن النصوص الشرعية لم تذكر الجدال إلا في موضع النفي غالباً ، والمحمود منه ما كان محاورة هادئة مع طالب للحق بالتي هي أحسن.
ذُكر عن مالك بن أنس أنه قـيــل لــه : »يا أبا عبد الله الرجل يكون عالماً بالسنة أيجادل عنها؟« قال : لا ولكن يخبر بالسنة فــإن قبلت وإلا سكت(9). وفعلاً فإن طالب الحق إذا سمع السنة قبلها ، وإن كان صاحب عناد لم يقنعه أقدر الناس على الجدل ، لكن إن سلم بها وذكرت له السنة بلا جدال فقد يتأملها ويرجع.
وبالجدال قد تخسر المجال ، والداعية ليس في حاجة إلى أن يخسر الناس ولذا يقول عبد الله بن حسن -رحمه الله- : »المراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة والمغالبة،أمتن أسباب القطيعة(10). حتى ولو كان المجادل محقاً، فينبغي له ترك الجدال، وفي الحديث الذي رواه أبو داود مرفوعاً »أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً«(11)
وتذكّر أن المخطئ قد يربط الخـطــأ بكرامته ، فيدافع عنه كمن يدافع عن كرامته ، وإذا تركنا للمخطئ مخرجاً سَهُلَ عليه الرجـــــوع وجعلنا له خيارات للعودة فلا نغلق عليه الأبواب(12).

القاعدة الخامسة:

ضع نفسك موضع المخطئ ثم ابحث عن الحل :

عندما نعرف كيف يفكر الآخرون ، ومن أي قاعدة ينطلقون ، فنحن بذلك قد عثرنا على نصف الحل.
حاول أن تضع نفسك موضع المخطئ ، وفـكـــر من وجهة نظره هو ، وفكر في الخيارات الممكنة التي يمكن أن يتقبلها ، فاختر له ما يناسبه(13).

القاعدة السادسة :

ما كان الرفق في شيء إلا زانه:

عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً : »إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه« (14). وفي رواية أخرى له : »إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا نُزِعَ من شيء إلا شأنه«.
وتذكَّر قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ، وكيف عالجها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالرفق كما في الحديث المتفق عليه عن أنس(15).

القاعدة السابعة :

دع الآخرين يتوصلون لفكرتك :

عندما يخطئ إنسان ، فقد يكون من المناسب في تصحيح الخطأ أن تجعله يكتشف الخطأ بنفسه ، ثم تجعله يكتشف الحل بنفسه فإن هذا أدعى للقبول.
ومن الشواهد على هذا ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهـيـــم من قصة الشيخ عبد الرحمن البكري ، حينما ذهب إلى الهند ، وسمع أحد العلماء الهنود يلعن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نهاية كل درس ، فقام الشيخ البكري ونزع غـــــلاف كتاب التوحيد ، ودعا الشيخ لمنزله ثم استأذنه ليأتي بالطعام ، وكان الكتاب قريباً مـــــن الشيخ الهندي فأخذ يتصفحه وأعجبه قال : فلما رجعت وجدته يهز رأسه عجباً فقال : لمن هذا الكتاب؟ هذه التراجم عناوين الفصول شبه تراجم البخاري ، هذا والله نفس البخاري ، فقلت : ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله -وكان صاحب مكتبة- فاخبرهم أنه للشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فصاح العالم الهندي بصوت عال : الكافر!! فسكتنا وسكت قليلاً ثم هدأ غضبه ، واسترجع ثم قال : إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه ثم صار كل يوم يدعو له ويدعو معه تلاميذه ،وتفرق تلاميذه في البلاد وهم على عادة شيخهم يدعون له في دروسهم(16).
والإنسان عندما يكتشف الخطأ ثم يكتشف الحل والصواب فلا شك أنه يكون أكثر حماساً لأنه يحس أن الفكرة فكرته(17).

القاعدة الثامنة :

عندما تنتقد اذكر جوانب الصواب :

حتى يتقبل الآخرون نقدك المهذب ، وتصحيحك الخطأ ، أشعرهم بالإنصاف بأن تذكر خلال نقدك جوانب الصواب عندهم ، ففي البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : »نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل« ، قالت : حفصة فكان بعدُ لا ينام إلا قليلاً(18).
وقال -صلى الله عليه وسلم : »ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة«(19).
فعندما يعمل إنسان عملاً فيحقق نسبة نجاح 30% فإنني أثني عليه بهذا الصواب ، ثم أطلب منه تصحيح الخطأ ، ومجاوزة هذه النسبة(20).

القاعدة التاسعة :

لا تفتش عن الأخطاء الخفية :

حاول أن تصحح الأخطاء الظاهرة ولا تفتش عن الأخطاء الخفية لتصلحها لأنك بذلك تفسد القلوب ، وقد نهى الشارع الحكيم عن تتبع العورات فقد روى الإمام أحمد عن ثوبان مرفوعاً »لا تؤذوا عباد الله ، ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته«(21)

وعن معاوية مرفوعاً »إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم«(22).

القاعدة العاشرة :

استفسر عن الخطأ مع إحسان الظن والتثبت :

عندما يبلغك خطأ عن إنسان فتثبت منه ، واستفسر عنه مع إحسان الظن به ، فأنت بهذا تشعره بالاحترام والتقدير كما يشعر في الوقت نفسه بالخجل وأن هذا الخطأ لا يليق بمثله ويمكن -مثلاً- أن تقول له : زعموا أنك فعلت كذا ، ولا أظنه يصدر من مثلك ، كما قال عمر -رضى الله عنه- : »يا أبا إسحاق زعموا أنك لا تمشي تصلي«.

القاعدة الحادية عشرة :

امدح على قليل الصواب يكثر من الممدوح الصواب :

وقد أخذ بهذه النظرية محترفو السيرك ، فنجحوا في ترويض بعض الحيوانات الضخمة أو الشرسة ودربوها على القيام بأعمال تدعو للدهشة والاستغراب وطريقتهم في ذلك أنهم يطلبون من هذا الحيوان عملاً معيناً ، فإذا حقق منه نسبة نجاح 5% أعطوه قطعة لحم ، وربتوا على جسمه دلالة على رضاهم عنه ، ثم يكررون العملية عدة مرات مع قطع لحم أخرى أيضاً ، وتزداد نسبة النجاح شيئاً فشيئاً حتى يتوصلوا للمقصود فإذا نجحت هذه النظرية مع الحيوانات؛ أفلا تنجح مع الإنسان وهو من أكثر المخلوقات ذكاء واستجابة وقدرة على تفادي الأخطاء؟!.
مثلاً : عندما تربي ابنك ليكـــون كاتباً مجيداً ، فدربه على الكتابة ، وأثن على مقاله الأول ، واذكر جوانب الصواب فيه ، ودعمها بالثناء فإن قليل الصواب إذا أُثني عليه يكثر ويستمر(23).

القاعدة الثانية عشرة :

تذكر أن الكلمة القاسية في العتاب لها كلمة طيبة مرادفة تؤدي المعنى نفسه :

عند الصينيين مثل يقول:"نقـطـة مــن العـســل تصـيــد من الذباب ما لا يصيد برميل من العلقم"، وهذا واقع والكلمة الطيبة تفعل وتؤثر ما لا تفعله أو تؤثر به الكلمة القاسية التي هي في حقيقتها برميل أو براميل من العلقم المر القاسي الذي لا يطيقه أكثر الناس.

القاعدة الثالثة عشرة :

اجعل الخطـأ هيناً ويسيراً وابن الثقة في النفس لإصلاحه(24).

القاعدة الرابعة عشرة:

تذكر أن الناس يتعاملون بعواطفهم أكثر من عقولهم :

وهذه غريزة بشرية فالإنسان عبارة عن جسد ، وروح وهو ملئ بالعواطف الجياشة ، وله كرامة وكبرياء ، فالإنسان لا يحب أن تهان كرامته ، أو يجرح شعوره ، حتى ولو كان أثقل الناس ، ولذلك لما بلغ أبا أسيد الساعدي فتوى ابن عباس في الصرف أغلظ له أبو أسيد فقال ابن عباس : ما كنت أظن أن أحداً يعرف قرابتي من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول لي مثل هذا يا أبا أسيد(25).

الهوامش :

(1) الشمائل المحمدية للترمذي [273]
(2) ديل كارينجي [21]
(3) بهجة المجالس لابن عبد البر [2/432]
(4) رواه أحمد بإسناد جيد ، المسند [5/256]
(5) رواه مسلم [1/381]
(6) رواه مسلم [2/581]
(7) صحيح مسلم [2/694]
(8) ديل كارينجي [220]
(9) جامع بيان العلم وفضله [412]
(10) جامع بيان العلم وفضله [421]
(11) مسند أبي داود [4/ 253]
(12) كيف تكسب الأصدقاء. ديل كارينجي
(13) كيف تكسب الأصدقاء. ديل كارينجي
(14) رواه مسلم [4/ 2004]
(15) بلوغ المرام ، صحيح مسلم [1/ 236]
(16) فتاوى ابن إبراهيم [1/ 75]
(17) كيف تكسب الأصدقاء [173]
(18) رواه البخاري [3/6]
(19) رواه الدرامي [المقدمة 29]
(20) كيف تكسب الأصدقاء
(21) مسند أحمد [5/279] ، الترمذي [البر/83]
(22) مسند أبي داود [4/ 272] رياض الصالحين (442) قال النووي. إسناده صحيح
(23) كيف تكسب الأصدقاء [228]
(24) كيف تكسب الأصدقاء [23]
(25) التمهيد لابن عبد البر [2/245]

خواطر في الدعوة

مَنْ .. للمشاريع العلمية والدعوية ؟

محمد العبدة

بعُد العهد بالمؤسسات ، التي كانت مــن أقـــوى الأسـبــاب في استمرار التعليم الإسلامي والمدارس القائمة عليه، والتي استطاعت أن تمد المجتمع الإســلامي بطلبة العلم والعلماء، حتى في عهود الانحدار السياسي ، نسي الناس الأوقاف الإسلامية التي كانت مؤسـســة كبيرة ساعدت في الحفاظ على البعد الحضاري - الاجتماعي للإسلام ، وكان بإمكانها أن تستمر في أداء هذه المهمة لولا أن الدولة القُطْرية الحديثة - وغـالـبــاً ما كانت عسكرية - ساءها أن يكون للمسلمين مثل هذا العمل الاجتماعي فراحت تعيث فساداً بأوقاف المسلمين ،ووجدتها فرصة لنهب الأراضي والأموال وتلاشت الأوقاف شيئاً فشيئاً حتى لم يبق لها أثر. كانت المدارس والجامعات العريقة في العالم الإسلامي تستفيد من هذه الأوقاف فيتوافد الطلبة إليها من جميع الأقطار ، وعندما دعم المسلمون هذه المؤسسات الكبيرة ، إنما كانوا يعوِّضون بالتقصير الواقع من جانب الدول التي كانت غارقة في المـنازعات والتهارش على الدنيا ، ومع ذلك فإن هذه الدول لم تتجرأ على نهب الأوقاف كـمــا تـجـــــرأت الدول الحديثة. وكانت هذه الأوقاف تمثل نوعاً من الحماية للمجتمع الإسلامي ،ولـذلـك مرت على المسلمين قرون كان العالم فيها متقدماً ، وقابل ذلك تدهور سياسي عجيب ، واستمر تدريس العلوم الشرعية من غير أن يخضع للأهواء والأمزجة.

لم يقتصر نفع هذه الأوقـــاف على التعليم ، بل تعداه إلى أمور كثيرة تتصل بحياة الناس ومعاشهم ، ومن يقرأ عــن مصارف هذه المؤسسات سيأخذه العجب من المدى الذي وصل إليه المسلمون في تقديم الخدمات الإنسانية.

إننا اليوم أشد حاجــة مما مضى إلى مثل هذه الأعمال ذات النفع الدائم بإذن الله وذلك حمـايـــة لـلـدعـــــوة وتشجيعاً للعلم والبحث العلمي ، ويجب أن نتذكر أن دعم التبشير النصراني والمؤسسات العلمية في أوربا إنما كان وراءه جمعيات كثيرة جداً ، وكان من أثر هذه الجمعيات ظهور جامعاتهم المشهورة.

إن هذا الحديث عن وقف المال لمشاريع دعوية وعلمية ، وإن كان موجهاً إلى كل المسلمين الغيورين إلا أنه موجه بشكل أخص إلى الدعاة الذين يتحملون عبء إيجاد مثل هذه الأعمال ، وحتى لا تبقى الدعوة أسيرة لأشخاص يجودون أو يبخلون.

الملف الأدبي

نجمة الاعتصام

تركي المالكي

(1)

رقصَ الحبلُ بالراقصينْ..
بعد (دبكتهم) نصف قرنٍ عليهْ
فانهمرْ ، يا سلاْم!
» عارض ممطرٌ! «
وانتثرْ يا شررْ
يا سعادتهم بالمطرْ!

(2)

أصبح (البحرُ) كالخمرِ! عذبْ
بينما (الغيثُ) سامْ!
» دعْ (سفينةَ نوحٍ) وكنْ
(واقعياً) تُجيدُ الكلامْ!

وادَّرِعْ معنا نجمةً لا تُضامْ..!
نجمةً ودَهَاليزُها ستةٌ...
نجمةً لاعتصامٍ ! فموجُ التطرفِ هبْ!«

(3)

نصفَ قرنٍ ! وهم ينهشونْ
مضغوك وكنت تِجارتَهمْ ..
ثم ها هم يبيعون حتى العظامْ!

(4)

» مرحباً يا ابن جَدّيَ (سامْ)!
خذ فديتُكَ لا حجب القدسُ عني رضاكْ
أنا أنت ولكنني (الغمدُ) أنتَ الحُسام!
أنا أنت ولكنني (الذِّيلُ)..
فاحقــــــنْ سمومَك فيّ ..
سوف أدفعُ عنك (لحى) الانتقامْ!
أنا أنت فصُغْ نزفَ قوميَ حبراً ، وخُطَّ بهِ...
هيكــــــلاً للســـلاْم !
ثم خذ من يدي بصمةً في الخِتَامْ
إنني (واقعٌّ!) وداعاً زمان القتال/الكلامْ!
ها أنا أتذوقُ صفع النعالْ!
من يديك (المعمَّدتين!) حلالْ!
وحلالٌ حلالٌ حلالْ ..

فأنا عاقـــلٌ وذكـــــيٌّ..
وأفهــــمُ في (الاعتـــــدالْ)!
وأنــا أنــت يا أســـــدي..
مُرْ فبين يديـــك الغـــزالْ!
وانغمدْ يا حسام!

(5)

جبلٌ من غبارْ!..
مسجدٌ للضرارْ!.
مِزَقٌ من فمي وتُثارْ!
عطشٌ يملأ الأرض ملحاً وطينْ..
وعواصف رملٍ و (ريحَ) سلامْ!
يا (رياحُ) فهزّي جذوع غيوثِ اليقينْ
في دمائيَ رعدٌ وبرقٌ وتوقْ!
فاسقها أيها المُزنُ غيثاً..
ترى دربها بين هذا الحُطامْ!
اسقها (قبساً) فرعُهُ صاعدٌ..
والجذورُ توهَّجُ في العمقِ ثابتةً لا تُرامْ!

(6)

ها تضلَّعْتُ إني أرى - رغم هذا الظلامْ!
في عروقي دمَ الفاتحين..
يَتَدَفَّقُ بالطهرِ، كالورد ، كالجمرِ..
يسقي جذوعَ الكلمْ!
هو ما بينها يضطرمْ!
وهْي تمنحــــــهُ نبضـــهُ..
وتُهمِّـــش فيه العــــــــدمْ!
ثم تزرعُ من لونه الأرجوانيِّ شمسَ النهارِ..
وأُفْقَ الحياةِ وشوقَ القمـــمْ!
كلُّ قَطرة دَمْ..
نقَشتْ تَوقَها فوقَها:
(فيارب لا تجعلْ حياتي مهينةً
ولا ميتتي بين النساء النوائح
ولكن شهيداً تدرجُ الطيرُ حولهُ
وتأكل غربان الفلا من جوانحي)
ويا رب لا تجعل من القيد معصماً
أجرُّ به خزيي ! وتُطوى مطامحي

ولكن لظىً يغلي ليدفنَ تحته
تواريخ من مدُّوا يداً نحو ذابحي !

للموت مليون طريقة

عبير عبد الله الطنطاوي

البيت مليء بالصراخ والنحيب.. الكـلـمات اليائسة هي الحوار الرئيسي بين الجارات في الداخل، ورائحة الموت التي تناقلتها النسوة في الحي إنها تدور حول ابن عم أو خال أو صديق أو قريب مات تحت القصف الـمـعـادي، أو من الخوف، أو.. أو.. وأنا مللت هذه الأحاديث، إنها تعاد مختلطة بتنهدات حارة، منتهية بنحيب مقيت، وعبارات مذعورة خائفة من الموت غداً، إن للموت مليون طـريـقــة فـي هذا الجو البائس، المشحون بالقتل والتدمير.

بلدي يا زهرة في القلب عبيرها،ويا بسمة على الشفاه مرسمها، ويا أملاً في الأحلام مرآته، ريا قُبلة على الوجنة نطبعها. لم أكن أعرف أني أحبك.. نعم أحبك. وفي الأزمات نعرف معنى الحنين إلى الأحباب ، ونكتـشـف مـــدى تعلقـنـــا بهم.. نعم ففي الأزمات تتكشف للإنسان مشاعر خفية وغامضة ، وفيها يعرف ما استتر ، أو ما حاول ستره. إنني غريبة في وطني قَدِمْتُ إلى ترابه وأنا طفلة ، ووجدت في أحضانه أحلى وأرقّ الأيام والذكريات.

- شجون ، أنت هنا!

انتبهت على هذا الصوت الرخيم ، التفت إلى الخلف راسمة ابتسامة انتزعتُها انتزاعاً ، وقلت:

- منتهى.. أهلاً .. هل كنت تبحثين عني ؟

- بالطبع وهل لي صدر حنون كصدرك ؟

ضممتها إلى صدري الحنون - كما قالت - ضمة أحسست فيها بحرارة صادقة ومودة قديمة. قالت بعد أن أفلتت من بين ذراعي :

- فارس يا شجون فارس...

- فارس حبيبي الصغير.. ماذا به؟

- الحليب..!!

-الحليب؟!

قلت مستغربة ، وأنا أنظر إلى صدرها الذي كان يعلو ويهبط ، ثم أردفت :

- وحليب الأم أين هو؟!

-ذهب منذ خبر استشهاد (وليد) ابن خالتي.

- والأسواق ألا يوجد فيها حليب؟

- الأسواق لا يوجد فيها طعام ! فكيف سيكون فيها حليب لابن عشرين يوماً؟ !

- والعمل؟

- "دبريني" يا شجون.. !!

وبدأت الدموع تتساقط من مقلتيها كأنها لآلئ تنحدر من صدفتين سوداوين..
ربَّتُّ على كتفها وقلت :
- الله معنا ، ولن يخذلنا إن شاء الله.
قبلتني ودعت لي بالنجاح والستر ، وأثنت عليّ ، ثم غـــادرت المكان إلى بيتها وطفلها ، وجلست أنا. »تعتمد عليّ !! من أين سأحصل على الحليب«؟
نظرت إلى معصمي ، وجدت فيه أساور ذهبية رفيعة ، لازمـــت يدي منذ صغري ، كنت أكبر ويكبّرها لي أهلي ، حتى لا تصير كالقيد يحز معصمي. أنا أحب هذه القطعة الذهبية ، لكنني أحب منتهى وفارس أكثر من الأساور.
دخلت إلى البيت ، أخذت أسأل الموجودات عن حليب لصغير لم يتجاوز العشرين يوماً.. جميعُهنَّ أجبْن بالنفي ، متأسفات لعدم وجود. لبسْت ملابس الخروج الشتوية ، وقاومت عصف الرياح المختلط بهدير الطائرات وقصفها..
خرجت إلى جارنا البقال ، سألته عيوني قبل لساني ، ولكنه أبدى أسفه وهو حزين. خرجت إلى الشــوارع حزينة مرتعشة ألتمس طعاماً لذلك الثغر البسام الصغير والجميع يتأسفون !. عدت إلــى البيت أخيراً متجهمة الوجه ، قابلتني أمي باللوم. كيف أخرج في هذا الجو والطائرات تحوم حولنا و.. و!! وما كادت تكمل تأنيبها حتى أسكتت صوتها غارة جديدة. إن تشبثنا بالحياة يولد كلما شُنَّتْ غارة جديدة !.
وتكرر خروجي للبحث عن الحليب لفارس يوماً بعد يوم ، وفـي الـيــوم السابع أخبرني جارنا البقال أنه يستطيع تأمين بعض الحليب بعد يومين.. أشرق الأمل من جديد بعد أن كادت شمسه تذهب وتنيب ، وولدت البسمة على شفتي بعد أن قتلها اليأس.. عدت إلى البيت ، وسألت عن منتهى وابنها ، فأخبرتني أمي -كالعادة- بما لا يسر : الطفل جائع ، والعائلة فقيرة ولا تعرف من أين تؤمِّن معيشة الصغير.. منتهى تبكي..
يا إلهي اللآلئ تساقط.. وزوج منتهى لم يعد من الجبهة. وهي تسأل عني باستمرار.. بأي وجه أقابلها وهي التي اعتمدت بعد الله عليّ!!
بعد يومين عدت إلى البقال ، فوجدت دكانه مغلقاً ، نظرت إلى الساعة في معصمي إنها لا تزال السابعة صباحاً وهو بالتأكيد لم يعد بعدما ذهب لجلب الحليب.. بقـيـت في مكاني قرب الحانوت لا أتحرك رغم البرد الشديد الذي كان يحثني على الحركة لأمنع دمي من التجمد ، لكني كنت أغذي دمي بحرارة الأحلام ، حيث أتصور لآلئ منتهى قد جفت ، والبسمة تعلو وجهها الشاحب ، وطفلها يرضع الحليب الذي لم آل جهداً في إحضاره!.
في الساعة الواحدة ظهراً عاد البقال ، وعلى وجهه ابتسامة الأمل والفرح لأني -كما قال - كنت حقاً أماً لمنتهى رغم إنني أصغر منها ببضعة أشهر..
وقدم لي الحليب ، وطلب مني ثمناً لم أكن أتوقعه ، وحين استفسرت أخذ يشرح ويعيد ويزيد ، فلم أجد بُداً من إسكاته، وجـــدت النقود ضئيلة جداً أمام

المبلغ الذي طلبه ، فقد جلب لي حليبا دسماً ، وبكميات كبيرة. فلم أتردد ساعتها في نزع الأساور ، وتقديمها لبائع الحليب قائلة:
- هذه تنفع؟
ضحك قليلاً ضحكة هزت جسمه ، ثم قال :
- تنفع يا بنتي.. "زين ".. لكن هذه تساوي الآن ضعف المبلغ.
- وماذا نفعل؟. قل بسرعة.
- سأعطيك الباقي.
- أعطاني النقود حتى يخلص ضميره - كما قال -.. لم ألتفت إليه ، المهم أني حصلت على بغيتي.. عدت إلى البيت، ثم ذهبت إلى بيت منتهى، فلم أجد فيه أحداً، فاتجهت نحو بيتنا.
الفرح يصنع لي أجنحة بيضاً تحملني إلى الأرض التي فيها فارس ومنتهى صديقتي ورفيقة دربي. دخلت حديقة المنزل وإذا بي أفاجأ بعينين كصدفتين ودموع كأنها لآلئ ، تنحدر على خدين أسيلين.
- منتهى!!
صرخت بصوت عال ، والفرح باد على كل بقعة من جسدي.
- منتهى خذي ، هذا حليب لفارس.
نظرتُ إليها...ما هذا؟ حزن صامت وعينان فقدتا لمعانهما ، وصارتا باردتين كأنهما زجاج.
-منتهى.. الحليب !.
-قالت بكبرياء: لمن؟!
كاد قلبي يقف ، فقد توجست أمراً ، غير أني تمالكت نفسي وقلت متعجبة:
- لمن ؟! طبعاً لـ ..
فَصَرَخَتْ : اسكتي يا شجون ، اسكتي أرجوك..
صحت : ويلك أين فارس؟
وكان الجواب بكاءً يقطع نياط القلوب.. ندّت من قلبي صرخة موجعة باكية:
- لا.. الأطفال لا يمكن أن يمـوتــوا بهذه السرعة من الجوع.. الجوع.. كم أكرهها هذه الكلمة... الجوع..
غرقت لحظة في بحار الحزن والألم ، وسادت لحظات صمت ، قطعتها أصوات القنابل والصواريخ وصفارات الإنذار وصـــراخ الانفجارات.. نظرت إلى منتهى وجدتها تدخل البيت.. تركتني وحيدة كما تركها فارس وحيدة.. نظرت إلى أعلى.. إلى السماء وهتفت :
- يا رب... يا أمان الخائفين!

نصوص شعرية

المتحدة

علي بن موسى

هذي سراييفو تموتُ ولا نصيْر.
الطلُّ غادر صبحهُ
وانحاز للبارودِ
وانكفأ الشروقْ.

***

قلبي الطريدةُ
والجموع تُتابع الصيادَ
والصيادُ يقتنصُ الجموعُ!.
ها أنت يا "عثمانُ"..
تُلقى في الطريقِ..
مقطعَ الجسد الصغيرْ
ونحن نغطُّ في لغط القشورْ!
أنت تسبحُ في بحار الدمْ
أنت المستجُير ولا نصيْر!
ها أنت يا ليلى
فريسةُ ألفِ وحشٍ
ألفِ خنزيرٍ
ولا من يستجيبُ..
وكلُّنا غرقى ومركبنا هناكَ
لدى التتار !

***

هذي سراييفو
نواح لا يكفُّ!
وألفُ ألفِ قذيفةٍ زُرعتْ هنا ولا مغيثَ
سوى مزاعمهم عن الطير "النعامة" !.

***

النارُ تأتي تحتوينا
ونظنها في البعد نائيةً
لكنها في القلب تحرقُنا!
تُحاصِر أمننا.. تقتات أحلامَ الطفولةْ..
وتغلُّ أشجارَ الإيابْ!.
يا مجلس الأمن المصّمم بالصليب وللصليب
يا مجلس الشيطانِ تقتلنُا وتمنعنا الرصاصة؟!
وتُقضُّ مضجعَنا بأوهام الوكالات التي عبرتْ جسورَ عقولِنا..
وتربعَّت في سوحنا

يا مجلس الأعداءِ
تقتلنا وتقتلنا ، وتَمنحُ خصمنا ليلاً من البارود يحرقُنا وقوفا!.
***
هذي سراييفو تدُّك سلامَها نار الصليب
ونحن نمضغ عجزنا!
عذراً.. فإنك ما انتفعتِ بأن أبوحْ
وما انتفعتِ بأن أُطِّير نحو وجهك..
ألف قافية تنوحْ !.
***
عذراً سراييفو وباقي ، السربِ
إنك منذ جاؤوا صامدةْ
ونحن هناك نأكل خبزنا المعجونَ باللذات!
ونقول : ما فوق التراب ترابْ.
***
يا أمة الإسلامِ
هل مازال حاوي القومِ يُذهِلُنا..
فيخرِجُ من جراب الوهم آلافَ الطيورْ!
ونحن نعجب :"كيف يأتي بالطيور ولا طيورْ؟!
وكيف يزرعُ فوق أعيننا التلذذَ والحبورْ؟!
ونحن نضحكُ مثلما الأطفالُ
والدنيا تدورْ!
***
عذراً سراييفو
سئمنا ليلَنا
لكننا - عذراً - سئمْنا أن نملَّ من السأمْ!.

ملف السلام العربي / الإسرائيلي
حواشي على متن الاستسلام

د/ خالد الجابر

ويسأل السائل ، ويلح في السؤال عن الموقف الصحيح الذي يجب أن يتخذه المسلمون قاطبة ، حول ما يُسمى بمباحثات السلام مع العدو اليهودي. وخاصة حول الاتفاقية الأخيرة "غزة وأريحا أولاً" .
والجواب واضح بيّن - بحمد الله تعالى- لمن آتاه الله العلم ، والبصيرة ، وستراه هنا في جملة من المسلّمات والحقائق التالية.

المسلَّمة الأولى :

إن من لـــوازم التوحيد ، ومقتضيات الشهادتين : الانقياد المطلق والاستسلام التام لله رب العالمين ، والـشــــريعة التي أنزلها على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم- ((ومَا كَـــانَ لِـمُــؤْمِـــنٍ ولا مُؤْمِـنَــةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ))
[الأحزاب:36] فلا يعارض أمر الله وأمر رسوله بعقل، أو قياس، أو هوى، أو عواطف، أو غير ذلك، بل يحذر كل الحذر من مخالفة أمره ((فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))
ألا وإن من مـسـتـلـزمات هذا الكلام أنه إذا عرضت للمسلم حادثة ، أو مسألة ، أو نازلة، فــإنـــه قبل أن يصدر حكمه فيها ، لا بد أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله كـمــا فهمهما علماء الأمة ، وأئمة الدين ، فاذا عرف حكم الله في المسألة سار بموجبه.
ومن هنا تعلم ضعف الـحـال الذي آلت إليه الأمة لما أعرضت عن علمائها وفقهائها في كثير من البلدان، فصاروا لا يُستفـتون في الأمور العظيمة الجليلة، بل لعلهم آخر من يعلم! فإذا تم الأمر طلب منهم أن يصـدروا ما يثبت صحة ذلك القرار! فإن أبوا وأفتوا بخلاف ذلك، أهملت فتواهم وبُحث عن غيرهم!.
ومن هنا تعلم أيضاً ضعف كلام من يبيح ما حرم الله بسبب العنت والمشقة والآلام،ويذكرك ببكاء الصبية وترمل النساء ، وتشرد الناس، وهدم بيوتهم ونحو ذلك مما تحركه العاطفة، وتبعثه المعاناة. وهذه الأمور كلها إن كان لها اعتبار عند الله ، فإن المفتي لن يلغي قيمتهـا ، بل ستكون من معالم الفتوى ، وإن لم يجعل الشارع لها اعتباراً فلا وزن لما أهمله الشارع وألغاه.
وخلاصة هذه المسلّمة أنه لابد من عرض أي حادثة وأي مسألة على الشرع قبل البت فيها ، فإذا تبين حكم الله وحكم رسوله وجب الانقياد والاتباع.

المسلَّمة الثانية:

لا اعــتـبـار شرعي ولا قيمة ولا وزن لما يعقد وعقد وسيعقد من عهود واتفاقيات مع اليهود لأمر ظاهر بيّن، روضت الأمة على نسيانه والغفلة عنه، بل واستغشاء الثياب، وصم الآذان عــن سـمـاعــه ألا وهو أن هؤلاء المتنفذين على مصالح الأمة، والمبرمين لمثل هذه الاتفاقيات لا يمـثـلـونــها ولا يعبرون بلسانها، ولا يصدرون عن رأيها، [بل إنا نذهب إلى ما هو أشق قبولاً عند الـظـبـاء الـمـروضـة- وقد قاله بعض العلماء- من أنــه لا كبير فرق بين أن يسوس المسلمين مرتد علماني مفسد، أو كافر أصلي، والواقع يشهد بذلك].
فـــلا داعــي إذن للاكتراث بما يفعلونه ويقررونه، فالأمة إذا استفاقت واسـتـعـصـت على المروّضين، وتمنعت على التنويم المغناطيسي ، فإنها لن تعدو أن تحرق هذه الأوراق!.

ثم إن ثــوابـت الـمـلـة، ومـقـررات الشريعة لا يستطيع أن يسقطها أو يعدل فيها الـعـلـماء والفقهاء، فضلاً عن الجهلة بأساسيات الدين وقواعده أو المعرضين عنها بالكلية، الجاعلين إيـــاهـــا خلف ظهورهم، ومن هذا أنه لا يحق لهم أن يحددوا معالم علاقة الأمة المسلمة بغيرها من الأمم، وقد بين الله ورسوله حدودها ومعالمها، واكتملت أركانها بتطبيق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لها ، هذا هو الأصل ، فإن ضعف المسلمون عن حماية بيضة دينهم أن تكسر ، وحوزة مملكتهم أن تقتحم وكانوا أذل مــن ذلــك ، واستباحهم الكفار "فلأهل الحل والعقد" فيهم أن يمنعوا هذا بما تبيحه الشريعة من صلــح أو عقد ، على أن يكون مضروباً إلى أجل. أما أن تباع أرض المسلمين فلا!إذ الأرض لله، ولا يجوز بيع ما لا تملك!

[وخلاصــــة المسلَّمة الثانية أن ما يبـرم الآن مــن عهود باطل شرعاً؛ لان من أبرمه فاقد الأهلية، فلا يقبل منه ذلك ، كما أنه لا يقبل منه أن يحدد العلاقات مع الآخرين ، فقد بينها الله ورسوله].

المسلَّمة الثالثة :

إن مصيبتنا في فلسطين ، على فداحتها وعظمها ، وشدة هولها ، ليست إلا عرضاً واحداً من الأعراض الكثيرة : لمرض الأمة الكبير ، وليست هي المرض ذاته!.

فكما أن مصيبتنا في فلسطين عرض، فمصائبنا في أفغانستان، والبوسنة وكشمير، والحبشة، والفلبين ، والهند ، وطاجكستان ، والأندلس ، كلها من أعراض مرض الأمة الكبير.

وإن كانت هذه أعراضاً ظاهرة ، يراها كل أحد ، فلمرض الأمة أعراض أخرى لا يراها إلا طبيب. وهذه الأمة أمامك : قد كثر فيها الخبث الدائر بين الكفر والشرك والكبائر وعطلت الشريعة وارتفعت رايات العلمنة ، وهبت رياح التغريب ، وعم الفساد حتى صار الموحِّد سابحاً ضد التيار ، ومع هذا فقد ضعف التقي وتخاذل المؤمن ، وتفرق الأخـيــار ، وهذه الأمـــة أمامك : حمى مستباح وباب مخلوع ، وسور قصير مهدَّم. قد بث العيون عـلـى أطرافها ، لا ليحذروها لكن لينبئوها بمقدم الأوامر العليا ، من طرف الأرض الآخر! قد تعلمت فنَّ الترجمة ، واستدانت لذلك قلماً.

فآلت الأمة إلى نبوءة الصادق المصدوق : غثاء كغثاء السيل ، وصدق فيها وصف عدوها لها أنها الرجــل المريض. فمن ثمَّ ، فالأمة من ضعفها في ذهول ومن ذلتها وهوانها في شرود ، ومن الضغوط التي عليها، والبلايا التي فيها ، في حالة من اللاوعي. فما تصدره من قرار ، أو ترسمه من خطة ، إنما هي حيلة العاجز ووسيلة الغريب المضطر. وحين تعود لوعيها ، ويزول عنها ذهولها ، ستزُمُّ الشفتين عجباً ، مما فعلته في »زمن التيه«.

[وخلاصة هذه المسلَّمة : أنه لا يصح أن تصرفنا الآلام والأعراض إلى تسكينها وتهدئتها ، ونهمل المرض الأصل ، ومهما سكّنا الآلام ، والمرض لم يعالج فلن ننتفع بشيء].

المسلّمة الرابعة :

أما وقد استبان لك ما مضى ، إن شــاء الله ، فلك أن تسأل الآن وتلح في السؤال ، لا عن الاتفاقية ، وتفاصيلها السياسـيـة ، فهذا آخر ما ينبغي أن تفكر فيه. نعم إننا نحتاج ولا شك لمعرفة التفاصيل والخفـايـا ، لكنها تكون كحجج أهل المنطق ، لا لنثبت بها الدين ، إنما لنرد بها على أهل الباطل. ولك أن تسأل الآن ، وتلح في السؤال عن علاج مرض الأمة الكبير ، وكيف يكون ؟ فإنك إن سـألـت هــذا السؤال تكون قد خطوت خطوتك الأولى في الطريق الصحيح ، الطريق إلى الأقصى . ألا فاعلم أيها المبارك غير مجهَّل : أن داء أمتنا منها،وأنها مصابة بداء نقص المناعة الذاتي، فصارت تتلف نفسها، وتتأبى على أطبائها، والله قد أنبأنا عن الداء ، فقال تعالى ((ومَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ)) [النساء:79] قال عز وجل ((إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد:11] ثم وصف لنا الدواء ((إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ)) [محمد:7] ، وقال ((وعَدَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ومَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ * وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [النور:54،55].

إنه الطريق الذي سلكه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، الطريق الذي لا يلقاه إلا الذين صبروا ، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

ومن معالم هذا الطريق:

- صرف الجهود في تربية الجيل ، وتزكيته ، والسعي لرفع مستواه ، بالدعوة الدؤوبة ، والمتابعة الدقيقة.
- ومنها نشر العلم الشرعي ، المبني على الكتاب والسنة ، وتعليمه الناس وتقريبه لهم. ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي المفسدين ، ومقارعة الظالمين ، وفضح كيد الخائنين.

ومنها الاستفادة من كل الخبرات، والعلوم العصرية،والحرص على تعلمها واتقانها والتفوق فيها.

- ومنها التعاون بين فئات الدعاة إلى الله تعالى وتنسيق الجهود، وترتـيـب الـقـــدرات، والاجتماع والتآلف.
- ومع هذا كله فلا بد من الصبر ، فالصبر ثم الصبر وهذا هو الطريق الذي لا يمر عـبــر البيت الأبيض ولا غيره فضلاً عن أن يبدأ منه ، إنما قبلته البيت العتيق.

هذا هو الطريق.. إنه الطريق إلى الأقصى.

من نبأ »السلام« في الصحافة العربية

- التحرير -

لا يبالغ أولئك الذيــن يؤكــدون أن انكساراً حاداً في التاريخ السياسي العربي المعاصر بدأ يُحدث فعله ، من خلال ما يجــري هـــذه الأيام . إننا أمام رحلة تيه أخرى ، تُكرس فصولها ، وتُرسم باسم واقعية مزعومة ، تجعل من الاسترخاء فوق فراش الهزيمة شجاعة لا تُدانيها شجاعات الزمن (الثوري) السابق! وتدفــع بـمـن يبيعون كل شيء -حتى آخر القطرات من ماء وجوههم- رموزاً للتعقل والاعتدال ، تعـــرف - وحدها- من أين تؤكل الكتف. إننا نرى فصول الهزيمة الجديدة بكل حدتها ، غير أننا نـــدرك مع ذلك أن إفرازاتها القادمة ربما تجاوزت ظلام الهزائم العربية السابقة ، وكانت أشد قتامة من كل ما مضى فـي زمـــن المد الثوري البائد. وما اتفاق "غزة وأريحا أولاً" إلا الحجر الذي كسر الباب، لتدخل من بعده عواصف الهيمنة الإسرائيلية فيتبع بعضها بعضاً. وقد حرصنا هنا أن ننقل للقارئ بعضاً مما كتب عن هذا الاتفاق في الصحافة العربية ، بعد أن قدمنا موقفنا منه - إجمالاً- ، ورؤيتنا تجاهه في موضع آخر ، وسنكتفي هنا بذكر النص المنقول كما هو دون تعليق وفي الإشارة ما يغني من العبارة.

-البيان-

بين قـيـادتـيـن : في الحالــة الفلسطينية ، القيادات المعنية ، تعيش حالة تتجاوز ظاهرة اليأس. إنها تفتقد الرؤية التاريخية وتستسهل التعامل مع القضايا المصيرية ، وتعتبر الدور (دورها) ، أهم مـــن الحفــاظ على القضية والهدف. إنها تقبل التوقيع على صيغة غامضة مجحفة ، وتترك كل ما يتـعـلـــق بالمستقبل غامضاً عائماً ، معلقاً برقبة جملة مُطلقة ، لا معنى لها،يسمونها "الحل النهائي" إنهم لا يريدون منا التوقيع على تسوية سياسية فقط ؛ بل يريدون أن نـغـيـر عقـلـنا وفكرنا وتراثنا الثقافي وسيحصل. لماذا لا نسمع لحظة لصوت الخصم وهو يشرح الاتفاق فـي الكنيست؟ أليس هو شريكنا في الاتفاق؟ ليس هو شريكنا في المصالحة التاريخية ، كما تقول مقدمة الاتفاق؟. استمعوا إليه جيداً : "ما هو الشيء الذي أصررنا عليه؟" يسأل رابين ويجيب قائلاً :

"أولاً: هذا اتفاق ثنائي بيننا وبين الفلسطينيين ، وليس مشروطاً بما قد ننجزه مع لبنان أو سورية أو الأردن.

ثانياً : أصررنا على أن الاتـفــاق لا يشمل القدس ، لا في إطار التسوية الجزئية ، ولا في إطار التسوية الشاملة. الـقــدس لن تكون مشمولة في أي مجال من صلاحيات المجلس أو الهيئة التي ستدير شؤون الفلسطينيين فـي الـمناطق المحتلة. القدس باقية تحت السيادة الإسرائيلية وكعاصمة لإسرائيل" . وقال إسحق رابين - خصمنا وشريكنا في الاتفاق -: »لـهـــذا الاتفاق تقسيم: الجزء الأول للتنفيذ هو قطاع غزة، حيث المستوطنات ستـبـقــى، والجيش الإسرائيلي سيبقى للدفاع عن المستوطنات. أما أريحا فبشرط أن تكون المقر للهيئة التي ستدير بداية الحكم الذاتي. هذا هو الشرط لأريحا ، الأفضل أن يكون المقر هناك في أريحا مــن أن يكون في مكان قريب من القدس ، يجب إبعاد المقر عن القدس. لقد وعدنا بأننا نذهب إلى تسوية جزئية مع الفلسطينيين : دون المساس بالاستيطان اليهودي ، دون المساس بالأمن ، دون الالتزام بصورة أو بشكل الاتفاق النهائي..

من مقال لبلال حسن - الشرق الأوسط 13/9/93م

إسرائيل الكـبـرى باتساع النفوذ : »تعالوا نراجع كل التصريحات لرابين وبيريز ، وكل من يتحدث فـي إسرائيل عن السلام ، ليتضح التمسك بأن السلام معناه : إقامة كل العلاقات بين الدول العربية لإسرائيل. هذا الإصرار الذي يضغط في كل تصريح إسرائيلي على إقامة علاقات كامـلــــة هو الدافع الحقيقي ، الذي دفع رابين وحكومته وحزبه إلى عرض اتفاق غزة وأريحا. حلم رابين هو أن تستغل إسرائيل كل مجالات الخبرة والتفوق في تسريب نفوذها تحت سـتـار "تقـديــم المساعدات للدول العربية ، وتقديم الخبرة" بحيث تصل في يوم من الأيام إلى السيطرة الفنية والتجارية والزراعية والصناعية في الدول العربية ، وهكذا تقوم. "إسرائيل الكبرى" لا باتساع الأرض ، بل باتساع النفوذ ، والسيطرة على الاقتصاد والثقافة ، وعلى كل حــال فـإن حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات عن طريق ضم كل هذه المساحات الشاسعة من الأرض ، يقتضي توفر أعداد ضخمة جداً من اليهود ليقيموا في هذه الأرض ، أما السيطرة الاقتصادية فلا تحتاج لهذا العدد ، بالإضافة إلى أن ضم كل هذه الأرض يقتضي خــــــوض إسرائيل حروباً بالغة الخطورة في زمن يكره العالم فيه قيام الحروب ، بينما السـيـطــــرة الاقتصادية تتم بنعومة ولا تستثير النفوس كالحروب ، فهي تسرب تحت ستار فضفاض كادعاء تبادل الخبرات ، والتعاون من أجل الشعوب«.

أحمد أبو الفتح : الشرق الأوسط 3/4/1414هـ

محور إسرائيلي/فلسطيني:» مــرحـلــة جديدة فعلاً في تاريخ الشرق الأوسط تبدأ مع توقيع الاتفاق الإسـرائـيـلـي الـفـلـسـطـيـنـي فـي واشـنـطـــن مـــا هو الجديد فيها ؟ قيام محور (فلسطيني/إسرائيلي) ، مدعو إلى صياغة تعايش (عربي/إسـرائـيــلـــي) أولي يشمل مختلف شؤون الحياة اليومية والاقتصادية

العامة والسياسية ، وعبارة "محور" في هذا المجال غير دقيقة لأن قوة أحد القطبين -أي القطب الإسرائيلي - تتجاوز وزن القـطـب الآخر ، وهي في أقصى الضعف. إن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات اختار لفلسطيني الأرض المحـتـلـة ارتـبـاطـاً استراتيجياً نهائياً بإسرائيل والعالم الغربي. وهذا الواقع لن يتبدل في جوهره ، مهما كانت صورة النظام الجديد ، الذي قد ترسو عليه التوازنات المقبلة في المنطقة ، مهما حصل وانطلاقاً من أرض الواقع ذاته ومن نصوص هذا الاتفاق - وهي استراتيجية مع أن الاتفاق مـؤقــت (وهذه إحدى المفارقات) - سيظل المحور الإسرائيلي / الفلسطيني جسماً مرتبطاً بما يدعـــى الشمال ، ومنفصلاً استراتيجياً عن المنطقة الجنوبية. الخلاصة : أن الصراع العربي/ الإسرائيلي مسألة انتهت وفق منطق هذا الاتفاق الإسرائيلي / الفلسطيني ، وهذا ما يؤكـــده محـمـــود عباس (أبو مازن) أحد مهندسي هذا الاتفاق ، وليس الأمر بحاجة إلى تأكيد ، في أي حال. وبديل الصراع العربي/الإسرائيلي مرحلة تعامل جديد - على ما يبدو بين المحور الإسرائيلي/الفلسطيني الجديد ، والأطراف العربية الأخرى. وهنا اختلال آخر. المحور الجديد موحد ومدعوم من القوى العظمى في حين أن الأطراف العربية الأخرى ، هي أطراف لا تنسيق جدياً بينها ، مع العلم أن بعض هذه الأطراف - أي مصر- اخـتـــار الارتباط مبكراً بما يدعى الشمال وهذا هو بالفعل المعنى الاستراتيجي الأساسي لاتفاق "تكامب ديفيد" ، كما أراده السادات.

ليس هناك أحد يدافع عن نص هذا الاتفاق بجرأة وصراحة ، حتى أبرز مهندسيه وعبارة "أولاً" في تعبير "غـــزة - أريحا أولاً" تتضمن اعترافاً بأن قيمة هذا الاتفاق الأول المفترضة ليست فيه ، بل بما قد يعقبه. هل تكون هذه الـ "أولاً" نواة كيان فلسطيني؟ أم أنها مرحلة أولى من حكم ذاتي فـصـل وفق الرغبات الإسرائيلية وقد لا يتحقق حتى على بعض أجزاء من الضفة الغربية؟.

الوقـائـــع المادية المختلفة- بما فيها السياسية - ترجح أن ما يعقب "أولاً" سيكون أيضاً وفق الرغبات الإسرائيلية. فليس لإسرائيل ما تخشاه حالياً إذا لم تقم وزناً لرغبات الجانب العربي ، أى لرغبات العرب عموماً ، بمن فيهم أولئك الذين باتوا وفق نص الاتفاق الأخير في العالم الاستراتيجي الثقافي الشمالي عبر القطب الآخر الذي هو إسرائيل. أما إذا كان ما يدعى "التحول الإسرائيلي" الذي يتحدثون عنه قائماً فإن مرحلة هدوء وسلام قد تبدأ. وإذا حصـــل المرجح -وفق المعادلة الراهنة وأبرز عناصرها نصوص الاتفاق ذاته - فإن الفوضى هي ما ينتظرنا جميعاً في المنطقة ، لا السلام الذي يتحدث عنه أبو مازن بابتهاج تام في القـاهـــرة. بعض هذه الفوضى ينجم حكماً عن مصير ثلاثة ملايين فلسطيني ، لن يفسح لهم المحور الإسرائيلي / الفلسطيني الجديد مكاناً ، وبعضها الأخر سينجم عن سؤال قد يطرح ولو تـجــــاوزاً : إذا تبين أن السلام المقبل إسرائيلي وحسب ، على حساب حقوق العرب ولو

بحدها الأدنى ، فما الذي يحول دون توليده لحروب عديدة بين القوى الرافضة حالياً ومعظمها إسلامي وأكثر من حكومة في المنطقة؟! وفي أي حال لن يكون مستغرباً طرح بعض الإسلاميين سؤالاً على بعض الحكومات وهو **"لماذا تتقبلون إسرائيل وتضيق صدركم بنا؟" خصوصاً إذا كان هؤلاء الإسلاميون من غير دعاة العنف وممارسيه «.**
الأسبوع العربي 13/9/93م

سياسة الإخفاء: » لا توجد صفقة سرية بين شريك قوي للغاية ، وآخر ضعيف للغاية ، إلا وتنطوي بالضرورة على تنازلات ، يحرص الأخير - من فرط الارتباك - على إخفائها. إذ أنه لا تزال هناك تفاصيل كثيرة ، مما يتعين التفاوض بشأنه ، وهناك بالمثل أشياء عدة غير قابلة للوزن بدقة ، بتعين إيضاحها، بل ثمة آمال إما أن تتحقق أو يتم القضاء عليها. وعلى رغم كل شيء فإن الصفقة التي بيـن يـديـنـــا تنبئ عن تعب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعزلتها ، وعن دهاء إسرائيل ، فكثير من الفلسطينيين يسألون أنفسهم : لماذا يتعين علينا بعد سنوات من التنازلات أن نتنازل مـــرة أخرى لصالح إسرائيل والولايات المتحدة ، في مقابل وعود وتحسينات غامضة في ظروف الاحتلال ، لن تحدث حتى إجراء محادثات الوضع النهائي بعد فترة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات ، بل ربما لا تحدث حتى ذلك الوقت؟! ولم نر حتى إقراراً واضحاً من جــانب إسرائيل (التي لم تعترف بعد بأنها سلطة احتلال) بإنهاء الاحتلال ، الذي تواكبه سـلـسـلـــة مـــن القوانين والأنظمة الجزائية المعقدة ، ولم يرد شيء عن الـ 13 ألف معتقل سياسي فلسطـيـنـي ، الباقين في السجون الإسرائيلية «.
إدوارد سعيد: الحياة 1/9/93م

رحلة في المجهول : » لا يريد أحد أن يطرح السؤال الصعب : ما هي آثار الاتفاق على الشرق الأوسط؟ ؛ لأن سؤالاً كهذا يوقظ الجميع من سطوة الحلم ، أو يفضح تفاهة الغنيمة. أخطر ما في الاتفاق الفلسطيني / الإسرائيلي أنه يرهن مستقبل المنطقة بأكـمـلـهـا بمستقبل كانـتون صغير اسمه "أريحا - غزة" ويعطيه وظيفة الكلية الاصطناعية ، التي يعــاد فيها غـسـل كل مدخلات المنطقة ومخرجاتها. إن الاتفاق الفلسطيني / الإسرائيلي مبني عـلـى أساس إنجاح جزء مرحلي ، هو في حد ذاته جزء من مرحله انتقالية ، هي في حد ذاتها تفـتـقــد الوضوح في النهايات والأهداف! بمعنى أنها "رحلة في المجهول" المهم أن ليس هناك ضمانات أبداً للانتقال من الحل الجزئي إلى الحل الانتقالي الشامل ، أى من كانتون أريحا- غزة إلى كانتون الضفة الغربية ، وبعد ذلك الدولة المستقلة كما يطمح الفلسطينيون. ثم كيف سيكـــون رد فعل الفلسطيني على "قمع" السلطة الفلسطينية له علماً بأن الوظيفة الموضوعية الوحـيــدة المرشحة لها سلطة الكانتون هي القمع (؟!) بمعنى:

حماية إسرائيل من إمكانية الاعـتــداء الفـلـسطـيني عليها ، وعلى مستوطنيها ، وإذا فشل رجال الشرطة الفلسطينية في الأمر ، فسيعود الاحتلال ، الذي انسحبت قواته إلى مسافة كيلو متر (!) خارج أريحا أو خارج قطاع غزة. إن إسرائيل ومعها أمريكا ودول أوروبا تريد تسويق حل كانتون "غزة - أريحا" كحل يبـرر الانفـتــاح الاقتصادي الشرق أوسطى وقبل ذلك يبرر البحث عن مصادر تمويل. وبالفعل بدأت عطية استحلاب المعونات من الدول الصناعية ، ومن الدول العربية الغنية ، وكان حل كانتون غزة . أريحا هو الحل الشامل ، وبذريعة إنجاح التجربة الفلسطينية دون وجود مخطط حقيقي وواضح لما يعنيه مشروع مارشال ، سوى أنه فرصة أخرى لإيجاد مصادر تمويل ، لبناء اقتصاد إسرائيل لمرحلة جديدة من وجودها في المنطقة ، وبدور جديد.
ثانيا : اتجاه الإسراع في تطبيع العلاقات بين الـــدول العربية وإسرائيل ، بلغ في بعض الأحيان درجة الدعوة إلى إلغاء الجامعة العربية ، ولـيـــس فقط رفع المقاطعة العربية عن إسرائيل لقد فتحت اتفاقية كامب ديفيد المنطقة على بحر العواصف ، لكنها لم تكن كافية للعصف بالمنطقة ، فهل يكون كامب أريحا مركز العاصفة الـثـانـيــة؟. حقائق الاقتصاد السياسي للحل المطروح لا تتجاوز إعادة ترتيب ديمغرافية تخدم أهـــداف التـنـمـيــة الاقـتـصـاديـــة الإسرائيلية في مرحلة انقلابها لعصر جديد ، عصر قيادة النظام الشرق الأوسطي. إن ما يفسر هذا هو طبيعة الحل المرحلي المقترح والمطروح في غزة وأريحا أولاً . وليس صدفة أن يتم اختيار المنطقتين حين تتم دراسة التوزيع الجغرافي للمناطق الصناعية في إسرائيل. بالـنـسـبـة لمنطقة غزة وما تشكله من مخزون عمالي كثيف ، وبمستوى معيشي متدن أنشأت إسرائيل فـي العامين الماضيين أكبر منطقة صناعية تقع على الشرق من قطاع غزة وتتصل بالمعابر الثلاثـــة ، التي تصل القطاع بإسرائيل. سيكون هم المشروع المعروف بمشروع مارشال في ما يخص الجانب الفلسطيني هو إعطاء قطاع غزة كل الاحتياجات التي يتطلبها الحفاظ على هذا القطاع ، كممول للأيدي العاملة الرخيصة ، وداخل نظام أمني يضبطه الفلسطيني قبل الإســرائـيـلـي. وحين يطالب شمعون بيريز بتمويل لمشروع الحكم الذاتي ، لا ينسى أن للمشروع وجـهــــاً إسرائيلياً ، هو إيجاد عمالة للعمل الفلسطينى ، حيث أن قطاع غزة لا يكفي سكانه ، وهـنــا يـتـلـخـص المشروع بتحسين شروط الإسكان والمجاري في غزة ، وتعمير بنايات عالية في مـخـيـمــات اللاجئين ، بدل غرف الصفيح بأرضيتها الرملية ، وتغطية قوات الإسالة ، وتجفيف الـمستنقعات. لقد جربت إسرائيل ذلك خلال ما سمي بفترة الحصار ، وقبلها جربت اسـتـعـمــال البطاقات الممغنطة لضبط دخول عمال غزة إلى إسرائيل، وخرجت بنتائج مشجعة. فهل يمنع ذلك من تطوير معاهد تعليمية لتطوير مهارات الأيدي الـعـامـلــة الفـلـسـطـينية ، بما يتناسب وحاجة المصانع الإسرائيلية في المنطقة الصناعية؟. على الطريق من أريحـــا ، وإلى

القدس أقامت إسرائيل منطقة صناعية جديدة في المكان الذي يعرف باسم "الخان الأحمر" ، أو بالعبرية الفصحى "معاليه أدوميم" وفي غربه أقيمت مدينة استيطانية كبيرة تحـمــل الاسم نفسه ، وتشكل الحد الشرقي للقدس الكبرى. هذه المنطقة الصناعية بحاجة إلى تمويل من مشروع مارشال، الأأأأذي يرعاه شمعون بيريز باتجاهين : تمويل المنطقة الصناعية وحـاجـاتـهـا ، وتمويل إسكان الأيدي العاملة الفلسطينية في أريحا. وهنا تصبح عودة اللاجئين ضروريـــة ، بل وتلبي حاجة سياسية، وليس إلى مخيمات هذه المرة بل إلى مساكن عصرية. الأمن مضمون، منطقة مغلقة في الأغوار اسمها "أريحا" يحتشد فيها بفضل السلام ، وبفضل اتـفـــاق أريحا وغزة أولاً أكثر من 100 ألف لاجىء "عائد" ينطلقون صباحاً إلى الغرب لمسافة 10 كـيـلـــو مترات حيث "معاليه ادوميم" الصناعية ، ويعودون في المساء إلى بيوتهم ، أما إلى الغرب من ذلك - القدس - فممنوع «.

الحوادث 17/9/93م

هزيمة ثالثة للعرب : » إن الاتفاق الإسرائيلي الأخير مع منظمة التحرير الفلسطينية بشأن الاعتراف المتبادل ، وإعطاء المنظمة قريتين فلسطينيتين يعتبر في المقاييس السياسية والاستراتيجية هزيمة ثالثة للعرب في تاريخهم المعاصر. لم يقـتصر الأمر على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنما هذا الاندفاع نحو مباركة الأنـظـمة العربية للاتفاق ، وتسابق بعضها للسير على غرار اتفاق الهزيمة. وفيما يلي سـنـحــاول رسم صورة انعكاسات ذلك الاتفاق / الهزيمة على الواقع العربي في المرحلة القادمة:

أولاً : إن هــذا الاتفـــاق سينتج صراعاً فلسطينياً / فلسطينياً بسبب الاختلافات السياسية والأيديولوجية للقوى الفلسطينية ، كما أن ذلك الاتفاق سيفرض على قيادة منظمة التحرر الفلسطينية قمع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي التي منحت لها ، وفي الأراضي المحتلة الأخرى ، يضاف إلى ذلك ستكون مهمتها ضبط المناوئين والمعارضين للاتفاق.

ثانياً : إن غزة تقع على الحـــدود المصرية - الإسرائيلية وإن أريحا تقع على الحدود الإسرائيلية الأردنية ، وإن طبيعة المناطق الحدودية هي مجال صراع حدودي دائم ، ذلك يعني انتقال الصراع من حدود إسرائيل وداخلها وتحوله إلى صراع حدود مصرى/فلسطيني من جهة ، وأردني / فلسطيني من جهة أخرى.

ثالثاً : انتهاء المطالبة بتحرير فلسطين للأبد ، وأن المسألة لا تعدو كونها مـسـألـــة أراض عربية محتلة عام 1967.

رابعاً : تطبيع العلاقات العربية - الإسرائيلية ويترتب على ذلك رفع المقاطعة لإسرائيل ، وعلاقات اقتصادية ودبلوماسـيـــة مع الدول العربية ، تكون السيطرة فيها للطرف القوي والمدعوم من قبل الغرب ،وهــو الطرف الإسرائيلي بدون أدنى شك.

خامساً : إن مـثـل هــــذه الحالة بين العرب وإسرائيل تخدم المصالح الغربية في المنطقة، وتستطيع إسرائيل في المستقبل الاستغناء عن المساعدات الأمريكية وغيرها باعتمادها على نفسها وعلى جيرانها العرب.
سادساً : أحد عناصر سيناريو الاتفاق وانعكاساته المستقبلية هو المتغير التاريخي الذي قد يقلب كل الموازين ويغير الأحوال ، ويصعب على أحد أن يتنبأ به ، فما يجري اليوم ليس نهاية القضية ، وما يسمى بالسلام على حـســـاب العرب ليس أمراً حتمياً ، فقد علمنا التاريخ بمتغيرات تحول مجرى الأحداث التاريخية سلباً أو إيجاباً «.
القبس 23/9/93م
الاتفاق معلوم إسرائيلياً مجهول فلسطينياً: المستوطنات موجودة والجيش سيبقى موجوداً على مشارف المدن ، وكذلك مرجعية الأمن بما في ذلك مرجعية الأمن الفلسطيني ، هذه نصوص موجودة في الاتفاق أما حل الإدارة الـمدنية ، فهذا لا يعني شيئاً لأن هذه الإدارة أوجدها الليكود عام 1982 ليحســـن من صورة الاحتلال وفشله. نحن لا نعتبر أن الاحتلال في ضوء بنود الاتفاق قد رحل ، لكننا نعتبر أن الاحتلال قد تكرس ولكن بصور أخرى وبأشكال أخرى« . » هذا الاتفاق، من الناحية السياسية دفع بالقضية الفلسطينية إلى المجهول ، وهو في اعتقادي مجهول فلسطينياً، ومعلوم إسرائيلياً، ذلك لأنه أبقى السيادة على الأرض بيد إسرائيل ، وكذلك مرجعية الأمن الداخلي والخارجي أيضاً ، وعلق كل القضايا الخلافية إلى أمد غير معلوم ، وبذلك يكون هذا الاتفاق قد أعطى الولاية الجغرافية لإسرائيل ، ومنحها القدس ومستقبل الأرض. أما من الناحية الاقـتـصـاديــة - وللأسف الشديد - يريد الاتفاق تحويل الفلسطيني إلى منصة انطلاق للاقتصاد الإسرائيلي للمنطقة العربية ، عبر الفيدرالية الفلسطينية/ الإسرائيلية لمخاطبة الوضع العربي ، عـلـمـــاً بأن الفلسطـيـنـيـيـن كـانـوا وما زالوا حريصين عبر نضالهم الطويل للاستقلال على محيطهم العربي، ولكن هذا الاتفاق حوّلهم إلى حربة موجهة إلى المحيط العربي..
باختصار جاء الاتفاق لإعادة تنظيم وترتيب الاحتلال، بشكل مريح للإسرائيليين، وكذلك توظيف السلطة الفلسطينية في المهمات التي تؤمن للاحتلال الاستقرار والأمن الاقتصادي «.
عبد الرحيم ملوح (عضو الهيئة التنفيذية لمنظمة التحرير)
الوطن العربي 24/9/93م، الأسبوع العربي 20/9/93م
المنظمة في الموقع الجديد: » اللعبة الحقيقية التي ستكون من نصيب مـنظـمـة التحرير هي اللعب على الصعيد المحلي المحدود مع سكان الضفة والقطاع فقط ، وهو مـا يتناسب مع حجم طموحات وأهداف ورغبات قيادة هذه المنظمة ، وينسجم مع طموحــــات وأهداف ورغبات إسرائيل التي تلعب

على نطاق حجم أكبر ، هو نفسه حجم الوطن العربي. وتجد هذه اللعبة المحدودة أساسها الآن في الاهتمام بإقامة نقطة مراقبة عسكرية فـي أريـحـــا وأخرى في غزة ، تحتشد فيها شرطة منظمة التحرير للوفاء بتعهد السهر على راحة وأمن إسرائيل ، وتجنيب الجندي والمستوطن الإسرائيلي آلام مواجهة الانتفاضة الفلسطينية ، إذ سيكون قمع الانتفاضة الفصل الأول من هذه اللعبة المحدودة. الفصل الثاني : سيكون خوض صراعات السيطرة على مختارية هذه القرية أو تلك ، وبلدية هذه المدينة أو تلك. وسـتـكـــون خلفية المشهد هي الصراع على أموال المساعدات والمشاريع ، التي سيقدمها المجتمع الدولي ، والحصول على حصص فيها ، تتحول إلى البنوك السويسرية فوراً. مثل هذه اللعبة المحدودة ستكون هي لعبة اللاعب الذي ألقى أوراقه كلها على طاولة الكيال ، وانـسـحـب ليقامر بالملاليم في أزمة القرى والمدن الفلسطينية. ولن ينسى في كل مناسبة أو شجار "طـوشـــة" في قرية من هذه القرى أن يصرخ في وجوه المنافسين إنه "الممثل الشرعي الوحيد" للـشـعـب الفلسطيني! وإذا لم يصدقوا ، فسيفتش في جيوبه ، ويخرج الشهادة الإسرائيلية ، ويضعها أمام أعين المشككين (؟!) أما الفلسطينيون على الساحل (800) ألف سيحمدون الله ألــف مـــرة أنهم بعيدون عن قبضة "الممثل الشرعي الوحيد" الذي ستكون متاعبه كثيرة : حماية المستعمرات الإسرائيلية وحماية نفسه وحماية نفسه من نفسه «.

الوطن 22/ 9/ 93م

العدو المشترك : » من بـيـن الـعـوامــل الرئيسية التي دفعت بكل من إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية للتوصل إلى معاهدة السلام بينهما ، عامل مثير حقاً للدهشة الشديدة. فلم يكن بوسع الطرفين التوصل إلى مثل هـــذا الاتـفـــاق أبداً ، لو لم يكونا مدفوعين له لمواجهة عدوهما المشترك ، وهو "التطرف الإسلامي". ويقول المحللون من كلا الجانبين : إن اتفاق السلام الذي تم توقيعه مؤخراً بين إسرائيل والمـنـظـمة - وهو الاتفاق الذي ربما يجعل من العدوين السابقين حليفين - هذا الاتفاق جاء لأن كـــلاً من إسحق رابين وياسر عرفات بدأ يستشعر الخطر الداهم هذه المرة من المسلمين الراديكاليين ، الذين يرفضون أية مـهـادنة مع اليهود. ويقول "داني روبنشتاين" المعلق الإسرائيلي فـي "الـديـلـي سـتــار" الإسرائيلية: "إن خوف إسحق رابين من التطرف الإسلامي هو الذي دفعه لتغيير رأيه في منظمة التحرير ، التي كان يصفها باستمرار بالإرهاب والرغبة في القضاء على إسرائيل.. ويقول "زكريا القاق" المحلل السياسي الفلسطيني : هناك مصلحة مشتركة بين إسرائيل والمنظمة للوقوف في وجه التطرف الأصولي ، الذي يرى عرفات وكل الزعماء العرب أنه يشكل تهديداً لهم «.

(كريستيان ساينس مونيتور).

نقلاً عن الوطن 27/ 9/ 93م

المصلحة أمريكية والتكاليف يدفعها العرب : »تحدث خالد الحسن (عضو لجنة فــتــح المركزية ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني) في لقاء أجرته معه (الحوادث) عن الحياة الجديدة ، التي تسعى السياسة الأمريكية إلى ضمانها لإسرائيل من خلال اتفاق السلام فقال :"السياسة الأمريكية الجديدة التي تحرك ما سماه بوش" النظام الدولي الـجـديـــد ، في أداء شرطي العالم لا تستطيع الاستمرار في دعم الكيان الإسرائيلي بخسارة. فهذا - عـلــى مستوى المال - يكلف الخزينة الأمريكية نحو 15 مليار دولار. وأشار إلى تفاصيل هذه الفاتورة تقرير صادر عن أحد مراكز الأبحاث في واشنطن ونيويورك. ومن هنا كان ضرورياً إعطاء هدف جديد أو حياة جديدة لإسرائيل لتحقيق مصلحة أمريكية بمستوى التكاليف ووجــــدت واشنطن أن هذه المصلحة يمكن أن تتحقق بتكاليف يدفعها العرب ، وهذا ظاهر في الـسـعـي إلــى الإمـســـاك بالمفاصل ، وإدماج إسرائيل في الدورة الاقتصادية الإقليمية. وحين سألته الحوادث : "لماذا مقارعة المستحيل؟ الاتفاق قد يكون أفضل الممكن ، ولعله خطوة تتبعها خطوات في مسار طويل وليس نهاية المطاف؟" أجاب قائلاً : "أتمنى أن يكون الاتفاق خطوة تتلوها خطوات ، لكن الملاحق قيدت الفلسطينيين في شكل يوصد أمامهم أبواب إنهاء الاحتلال، وتبعاً لمواد هذه الملاحق، وخصوصاً ما يتعلق منها بالأمن ، فالسيطرة في يد إسرائيل. إن الأمن الخارجي مثلاً في يدها. ما معنى ذلك؟ يقيني أن العرب لن يحاربوا إسرائيل ، ولا أوروبا. الفدائي الفلسطيني هو الذي يحارب إسرائيل من الخارج ، فضلاً عن الفدائي اللبناني. وهذا يعني أن لإسرائيل الحق في العودة بجيشها لحماية أمنها الخارجي ضد أي عمل وطني ونضالي ، حتى ضمن غزة وأريحا. وهذا الحق تكرسه بنود في الملاحق ، تقول : إن تل أبيب مسؤولة عن أمن المستوطنات والمستوطنين ، ولها حرية استعمال الطرق في غزة وأريحا من أجل تحقيق أهدافها هذا لا يمكن أن يسمى انسحاباً ، حتى في القانون الدولي ، أو في المفهوم الأمريكي أو البريطاني ، من حيث زوال الاحتلال. باقٍ حتى في حال شمول الحكم الذاتي كل الضفة الغربية وقطاع غزة «.

الحوادث 24/9/93م

أريحا تصبح معتقلاً: » مشروع (غزة وأريحا أولاً) أنهى هذه الانـتـفــاضــة ، وأرى أن اختيار أريحا بالذات هو هدف إسرائيلي ، لكي تتحول أريحا إلى معتقل واسع ، لكل من يتحرك في الضفة الغربية مقاوماً الاحتلال ، على الطريقة التي كانت متبعة قبل إقرار هذا المشروع. يعني:غداً بدل أن تعتقل إسرائيل المناضلين من أبناء شعبنا،وتضعهم في سجونها، أو تطردهم إلى جنوب لبنان أو الأردن، الآن أصبح يوجد "شريط فلسطيني" سيتولى هو

هذه المهمة باعتباره مرجعاً فلسطينياً، حكومته -إن جاز التعبير- أو قيادته متفقة مع إسرائيل على خط سياسي معين ، أحد أهــم أبعاده إبقاء الأمن بيد إسرائيل. إن الفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات باتوا يشعرون بأنـهـم غير عائدين إلى فلسطين ، وأن الخيارات المتبقية لهم إما التوطين حيث هم ، أو التهجير إلى ما هو أكثر بعداً عن فلسطين ، أي إلى استراليا وكندا وأمريكا ، وغيرها من الدول، التي لاحظنا أنها بدأت تنتهج في المدة الأخيرة منهجاً جديداً في تخفيف شروط القبول بالهجرة إليها.
الصراع تحول من صـــراع فلسطيني/إسرائيلي إلى خلاف فلسطيني/فلسطيني. فبدلاً - ويا للأسف - من إيجاد حـــل مشرف ومقبول لمشكلة شعبنا ، نجد أنفسنا أننا أوجدنا الحل لمشكلة إسرائيل وقضية الاحتلال. اليوم إسرائيل هي أمام الرأي العالمي بلد متسامح أعطى وأعاد أرضاً وفرصة لحكم ذاتي ، يفترض أن يتحول إلى دولة مستقلة مستقبلاً ، بينما هي في الواقع أوجدت السكة أو الطــريق الموصل إلى تفريغ الضفة الغربية ، وإلى شطب قضية القدس ، وإلى وأد الانتفاضة وإلى تحميل الفلسطيني نفسه مسؤولية ما قد يترتب عليه مثل هذا الحل. أعود مرة أخرى لأقـــول إننا كنا نبحث عن حل لمشكلة مستعصية ، فإذا بنا نستخرج ونخترع مشاكل جديدة ، قد لا تكون أقل صعوبة من المشكلة الأساسية وقد تفرز عنفاً وعدم استقرار أكثر مما شاهــدنـاه في السنوات الأربعين الماضية. إن المنظمة لم تحقق سلاماً ، بل استسلمت لحل مفروض بالضغط ، والقوة والتآمر ، وما جرى الآن قد يفرض استقراراً بمعنى قد يحول دون حروب جديدة في المنطقة. ولكن لنا في التاريخ عبراً كثيرة ، هذا الوضع لا يمكن أن يستمر إلا في ظــل استمرار الهيمنة الأمريكية / الإسرائيلية ، وفي اللحظة التي تخف فيها هذه الهيمنة أو تـضـعــف ، فكل شيء في الشرق الأوسط سيكون مهيئاً للانفجار الكبير لإزالة آثار هذه النكبة الجديدة.
الآن نحن أمام مجهول جديد سيفوز حتماً قـــــوى جديدة مضادة لهذا المشروع التصفوي للقضية الفلسطينية ولقضية القدس ومصير شعب فلسطين. وبوادر هذا الأمر أن هناك تياراً أصوليا ينمو ، وأعتقد أن الأجواء الجديدة ستفتح المجال أكثر وأكثر إلى نهوض مثل هذا التيار «.
الدولية 15/9/93م

تحت راية إجهاض التطرف : » ترفع الــولايـــات المتحدة في سبيل إقناع الأطراف العربية بتقديم التنازل تلو الآخر راية التهديد بمن تسـمـيـهـــم المتطرفين والإرهابيين في البلدان العربية الذين يتربصون بالعملية السلمية الدوائر ، ويخططون للانقضاض عليها إن فشلت ، وتحت تلك الراية - راية إجهاض ما يسمى بالتطرف - تدفع الإدارة الأمريكية عجلة المسيرة السلمية وتزودها بالزخم اللازم. تتسع دوائر الاستفهام إزاء اللغز الأمريكي المتعلق

بقضية الإرهاب وتعريفه ، عندما تلاحق دوائر الأمن الأمريكية أي تصريح لشيخ هنا أو خطيب مسجد هناك لتصفه بالإرهاب وتتهمه بالتحريض عليه. وقد عجز القضاء الأمريكي إلى الآن على سبيل المثال عن إثبات أية تهمة حقـيقـيــة ضد الشيخ عمر عبد الرحمن - أيا كان الموقف منه - ، ولمم تتعد الاتهامات الحقيقية إطار ملاحظة دعوات التحريض في خطبه وتصريحاته ، وهي التي لا تقارن مع دعوات جيش "كاهانا حي" لإبادة العرب والمسلمين حيث كانوا ، فضلاً عن مقارنتها بـمـمـارســـــات ذلك الجيش ومعسكرات تدريبه الفعلية. عموماً ، ليس من اليسير ولا من المتوقع فك سر هذا اللغز في تناقض الموقف والممارسة في هذه القضية إذا تمت المناقشة بشكل يفصلها عــن مـجـمـــل السياسات الأمريكية العليا إزاء مختلف القضايا ، بل يجب النظر إلى أن قضية (الإرهاب الدولي) والتصنيف بالإرهاب وغيره ليست سوى جزء مكمل من تلك السياسات ، ولا علاقة له بموضوع الإرهاب كموضوع مجرد لا من قريب ولا من بعيد. والقرار بتصنيف هذا البلد أو ذاك أو تلك المنظمة أو غيرها هو قرار سياسي أولاً وآخراً ، له خلفيات ومعطيات ويرمي لتحقـيـق سـيـاسات واضحة من خلال الضغط أو التخويف أو الاحتواء أو التلويح بورقة التصنيف ضمن دول الإرهاب الدولي. وما البلاغة اللفظية الظاهرية في صلابة الموقف إزاء الإرهاب أو الحزم التمثيلي المرئي في توجيه الاتهام سوى نمط من أنماط أداء الكاوبوي المتغطرس الهادف لإخفاء حقيقة المرامي والغايات «.

خالد الحروب، الحياة 23/9/93م

التدخل الـمـباشر تحت شعار حقن الدماء : » لابد من العودة قليلاً إلى رد الفعل الأمريكي على هذا الاتفاق ، وهو كما نؤكد جميع الدلائل ، رد فعل مؤيد ، ومرحب ، وبتجاوز ذلك إلـى الاعتقاد بأن اتفاق "غزة أريحا" هو بمثابة الجزء المهم من الترتيبات الأمنية الشرق أوسطية التي تدعو إليها وتعمل من أجلها الولايات المتحدة. هذا الاعتقاد الذي يجزم المراقبون الأردنيون بصحته، يدفع إلى الاعتقاد أيضاً بأن واشنطن ستعمل بكل قوتها على محاربة أي توجه يسعى لإفشال "اتفاق غزة أريحا" مثلما أنها ستسعى بكل قوتها إلى توفير الترتيبات العسكرية اللازمة لإنجاز هذا الاتفاق ، ولو بالقوة ، كما أنها ستسعى إلى توفير التمويل اللازم لمختلف الـمـشروعات ، التي تشكل عناصر هذا الاتفاق ليصبح في يدها سلاحان اثنان : سلاح الـتــرغيب الاقتصادي ، والترهيب الأمني. كما ستسعى واشنطن للتدخل مباشرة إذا ما نشب أي نزاع بين الفلسطينيين أنفسهم ، خاصة وأن التوقعات تشير إلى أن "حماس" لن تسكت ، وسيكون التدخل الأمريكي تحت شعار "حقن الدماء" (؟!) ولكن بهدف تحجيم القوى الإسلامية الرافضة لاتفاق (غزة - أريحا). وستلعب الشرطة الفلسطينية دوراً بارزاً في تحجيم القوى الإسلامية

وبخاصة عندما تشترك الشرطة الفلسطينية مع الشرطة الإسرائيلية في حفظ الأمن ، انطلاقاً مما يدور من أحاديث حول تسيير دوريات شرطة مشتركة. كما سيلعب شعار "مكافحة الإرهاب" دوراً بارزاً في قمع القوى الإسلامية والراديكالية اليسارية ، التي ما تزال تصر على الرفض ».

الأسبوع العربي 13/9/93م

إسرائيل الاقتصادية الكبرى: » إن إسرائيل لا تستعد لخوض معركة تصدير واستيراد من وإلى أسواق الدول العربية . فهذا النوع مـــن التجارة ستمارسه إسرائيل لمجرد كونها تريد كسر حاجز الممانعة الشعبية العربية ضد وجودها أو انخراطها في المنطقة ، عـلى أن الهدف الاقتصادي الكبير لإسرائيل سيكون إعادة صياغة المنطقة اقتصادياً بطريقة تحتــل فيها (تل أبيب) مكانة عاصمة المعلومات التكنولوجية في السوق الشرق أوسطي الـــذي لن تنتهي حدوده عند تخوم ما كان يعرف حتى الأمر القريب بحدود الاتحاد الســوفيتي ، بل هو لأول مرة في العهد الإسرائيلي سيجذب إلـيـــــه - أي السوق - عالـماً استهلاكياً وجغرافياً جديداً اسمه آسيا السوفيتية والهيمنة الإسرائيلية على حركـــة هذا السوق هي التي يقصدها شمعون بيريز حينما يقول بضرورة التخلي عن "إسرائيل الجغرافية الكبرى" لمصلحة قيام "إسرائيل الاقتصادية الكبرى". ولعل أخـطـــــر ما في هــذه الفكرة المرعبة هو حقيقة أن عرفات يراهن على أن الأموال الدولية المرصودة لإنـضـــاج إسرائيل الاقتصادية الكبرى ، ستساعد في خلال تفاعل مساراتها على ولادة القزم الفلسطيني الشريك لإسرائيل والمقطوع الصلة بالعرب ، لأن من شأن ذلك ، حسب بيريز محو سلوك العداء العربي لإسرائيل الذي قد يستمر في المستقبل انطلاقاً من ذاكرة فلسطين«.

الشراع 9/93م

وبعد كل هذا (الاعتدال)؟! : » الواقع أن اشتداد الحملة العالمية في هذا الظرف على الإسلام كدين وكعقلية يوحي بالريبة والشك في دوافع القائمين بها. ففي كل مكان حاكم مسـلــم ، أو حـكــومــة إسلامية ، أو منظمة أو هيئة تدعو إلى التكيف مع النظام الدول الجديد(!) والتعاون معـه ومع من هم على رأسه بكل روح طيبة ، ولو كلف ذلك القسوة على الذات(!) والتسامح مع الآخرين من أهل الطمع بالأرض العربية وثرواتها، والتخلي عن كل وسيلة غير سلمية في حل الخلافات ، بل تعريض النفس للخطر نتيجة مـفـاجأة المجتمـعــات التقليدية والشعوب العريقة المتجذرة في معتقداتها وأعرافها بضرورة مسالمة العدو والتفــاهـم مـعـه عـلـى عــلاقة من نوع جديد. ومع ذلك ، لا أثر في إعلام الغرب ومنتدياته السياسية والفكرية لأي تفـهـم حقيقي وتقدير حقيقي للانقلاب السلمي الذي يحدث في العالم العربي، وفي العالم الإسلامي كله! الحكومات الغربية تقبل بمسالمة عدو

مزروع بالأصل زرعاً عـلـى أرض لا يملكها ، حباً منها (؟!) بالتنسيق مع الأسرة الدولية والأصدقاء الدوليين ، ومع ذلك تستمر الحملات عليها وكأنها تخوض الحرب ضد العالم وضد اليهودية وضد الـمـسـيـحـية الغربية. منظمة التحرير الفلسطينية تتخلى ، بمبادرة تاريخية، عن السلاح وترضى بجزء بسيط من وطن شعبها دفعة على الحساب وتؤجل كل نقطة خلافية ، ومع ذلك يبقى المسلمون في إعلام الغرب وعند ساسته متطرفين!«.

افتتاحية الحوادث 6/9/93م

لقطات إخبارية

»كان الـبـيـت الأبـيـض قــد أعد ثلاث صور خلف منصة التوقيع ، للعلم الأمريكي يتوسط العـلـمـيـن الفـلـسـطـيني والإسرائيلي. واعترض إسحق رابين وشمعون بيريز لأن العلم يمثل دولة، وفي نظرهم أن فلسطين ليست دولة ، على الأقل بعد ، وأن رفع علمها يمثل اعترافاً ضمنياً. وانضم قسم البروتوكول في البيت الابيض للجانب الإسرائيلي، مُفتياً بأن رفع العلم الفلسطيني يشكل اعترافاً بوجود دولة فلسطينية. وحل الإشكال بـصــــرف النظر عن رفع الأعلام الثلاثة. ولم يكن مقرراً تبادل المصافحة في أي مرحلة من مراحــل الاحتفال ، إلا أن ياسر عرفات - مدركاً أن أنظار العالم كله تتابع ما يحدث في "الحديـقــــة الجنوبية" بالبيت الأبيض! - مد يده إلى رابين الذي أخذته المفاجأة وتردد لحظات ثم أدرك خطورة رفض اليد الممتدة له ، وصافح عرفات ، ومن بعده صافح عرفات بيريز بشكل غـيـر متوقع فمد يده وانتظر 4 ثوان ليلتقط يد بيريز!. وكان الرئيس كلينتون قد أعد لحفل عشاء رسمي في البيت الأبيض احتفالاً بالاتفاق ، ووجهت الدعوات بالفعل إلى 150 شخصاً مــن نخبة السياسيين والدبلوماسيين في العاصمة الأمريكية. ويوم الاثنين صباحاً ، أبلغ رابين كلينتون أنه لن يستطيع حضور حفل العشاء لأنه يريد العودة إلى إسرائيل في أقرب وقت ممكن بعد احتفــال التوقع. وأسقط في يد البيت الأبيض الذي لم يرغب في عقد حفل عشاء تكريمــاً لياسر عرفات ومحمود عباس وحدهما ، وألغي الحفل في اللحظة الأخيرة!«.

»نقـلـــت إذاعة العدو الإسرائيلي عن مسؤول فلسطيني في منظمة التحرير قوله بأن المنظمة ستعرف كيف تتعامل مع حركة حماس إذا سمح لها بإدخال قوات شرطة كافية إلى الضفة والقـطــاع. ومن ناحية أخرى قالت صحيفة هارتس الإسرائيلية : إن الحكومة الإسرائيلية قررت إعــادة عـــدد مـــن مبعدي حركة فتح ، وإطلاق سراح عدد من كبار زعماء فتح في السجون الإسرائيلية للوقوف في وجه حماس في الفترة القادمة«.

المجتمع 10/9/1993م

موساد وشين بيت تحميان عرفات : »ازدادت المخاوف من احتمالات تعرض ياسر عرفات إلى الاغتيال في أعقاب التهديدات التي تلقاها

من جهات عديدة. وذكرت صحيفة الواشنطن بوست أمس في تقرير لها من تونس أن عرفات قد يتلقى حماية أمنية من جهازي الاستخبارات الإسرائيلية الخارجي "الموساد" والداخلي "الشين بيت". ونسبت الصحيفة إلى مصادر رفيعة المستوى فـي مـنـظـمـة التحرير قولها : إن بعض كبار المسؤولين عن أمن عرفات يخططون لعقد اجتماعات في أوروبـا الأسبوع المقبل مع ممثلين عن الموساد والشين بيت« .

الوطن 25/3/1414هـ

المغرب الدور القديم/الجديد : »ليس من غريب الصدف أن تكون الرباط أول محطة لرابين بعد توقيعه اتفاقية السلام مع الفلسطينيين. فبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام 1979م ، كانت الرباط أيضاً أول محطة عربية للرئيس أنور السادات، قبل 15 سنة ، إذ جاء السادات هو الآخر ليشكر العاهل المغربي على الجهود التي بذلها من أجل الوصول إلى إبرام أول اتفاقية سلام بين العرب وإسرائيل. ذلك أن العاهل المغربي لـعـب دوراً كبيراً فـي ترتيب لقاءات سرية بين موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك ونائب الرئيس المصري حسن التهامي ، وهي اللقاءات التي مهدت لزيارة السادات للقدس عام 1977 م .

المجلة 2/10/1993م

أول تحرك لسهى عرفات : »أعلنت سهى الطويل قرينة الـزعـيـم الفـلسطـيـنـي ياسر عرفات أنها ستعمل على تطبيق نصوص مجلة الأحوال الشخصية التونسية في منطقتي غزة وأريحا، لأن الـمـجـلـة الـتـونـسـيـة تعطي المرأة حقوقاً كبيرة!!. وطالبت السيدة سهى في تصريح أدلت به للصحفيين ، النساءَ الفلسطينيات بمساندتها«.

الحوادث 14-24/9/1993م

صحيفة كويتية تنشر إعلاناً لشركة سياحة إسـرائـيـلـيـة:

»نشرت صحيفة "السياسة" الكويتية أمس إعلاناً كبيراً في الصفحة الأولى لصالح إحدى شركات السياحة الإسرائيلية ، تدعو فيه السياح الكويتيين لزيارة المسجد الأقصى بالقدس ومقام نبي الله إبراهيم بمدينة الخليل. وذكر الخبراء الاقتصاديون بالكويت : أن الايام القادمة ستشهد نشاطاً مكثفا لشركات السياحة الإسرائيلية ، للاستفادة من الانفراج النسبي في العلاقات العربية الإسرائيلية بعد اتفاق غزة - أريحا«.

الجمهورية 27/3/1414هـ

»تناقـلت مصادر عديدة هنا في باريس أن الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني قد وقـعـا اتفاقاً مريباً يقضي بتزويد حكومة رابين بقمر صناعي جديد تتكفل واشنطن بإعداده لإطلاقه لنقل كل تفاصيل ومراقبة ما يدور في "غزة وأريحا" على مدار 24 ساعة، بالإضافة إلى تزويد القوات الإسرائيلية

بأجهزة رادار متطورة وأسلحة تعمل بأشعة الليزر لضبط الأمن في "الكيان الجديد مع التركيز على القوى الإسلامية وكل المعارضين للحلول الاستسلامية. من جهة أخرى تقول نفس المصادر: إن مصر تعهدت بإقامة نقاط تفتيش إسـرائـيـلـيـة - مصرية مشتركة للحيلولة دون عبور أي من الفلسطينيين من الأراضي المصرية من خـــلال قطاع غزة. إن الصهاينة توصلوا إلى تحقيق أغراضهم بالحفاظ على أمن إسرائيل عن طريق الـتـأكـد مـن اسـتـعـداد الطـرفين الفلسطيني [خط عرفات] المصري إلى التعاون مع القوات الإسرائيلية لخنق المعارضة الإسـلامـيـة ومـنـعـها من تسديد ضربات قوية في قلب الكيان الصهيوني ، بعد أن قام هذا الأخير بتأمين حدوده الشمالية مع لبنان إثر الاجتياح الأخير للجنوب اللبناني«.

المجتمع 14/9/1993م

»قـال الـسـيـد بسـام الشكعة رئيس بلدية نابلس معلقاً على اتفاقية "غزة - أريحا": إنه لم يفاجأ لأن عرفات قـــال عام 82 وأثناء حصاره في بيروت "إنني قررت أن أركب القطار ، الأمريكي ومن أراد أن يصعد معي فليتفضل"..!! أما مسؤول فلسطيني آخر فقد بشّرنا بأن رئيسه لم يقرر السير فـي هذا الطريق منذ عام 82 بل قبل 25 عاماً وأنه أجرى مباحثات سرية مع مسؤولين إسرائيليين والتقى موشى ديان ..«

الإصلاح 22/9/1993م

»تـولـــت القاهرة منذ وقت مبكر تدريب 150 ضابطاً فلسطينياً على أعمال حفظ الأمن وفك الشفــرات واكتشاف المخططات الإرهابية قبل تنفيذها ، فضلاً عن سبل انتزاع الاعترافات من المتهمين. ويعتقد أن اللجنة الأمنية التي سيتم تشكيلها بين مصر والإدارة الفلسطينية في غزة ، سيكون لها الأولوية على غيرها من اللجان«.

الأسبوع العربي 13/9/1993م

تعليقات قصيرة

الأسير يجر فلسطين معه : »إن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفـات ، هو الآن مجرد أسير لدى إسرائيل ، لكن بدلاً من أن يكون أسيراً منفرداً، جرّ معه فـلـسـطين كلها وتاريخها إلى الأسر ، وبدلاً من أن يكون أسيراً عاطلاً عن العمل ، فهي أسير عامـل كشرطي تماماً في خدمة الدولة الصهيونية

الشراع 9/93م

سـوبـــر ماركت عرفات : »هذا الاتفاق هو ثمرة من ثمار كامب ديفيد.. وإني أتساءل : هل الهدف هو أن أقيم "سوبر ماركت" لبيع المرطبات والحلوى في غزة ؟!..... هل الهدف هو إقامة بعض المنشآت الاقتصادية ، أم الهدف أكبر من ذلك وهو تحرير الأرض والإرادة ؟! وأقول: إنـــه لا يحـــق لأي

حكومة من الحكومات العربية أن تنتقد هذا الاتفاق ، فكلهم متعاونون مع أمريكا وكلهم يريد إنهاء المشكلة على أي وضع فلا يحق لهم أن ينتقدوا!!«
د. عبد الوهاب المسيري، المجتمع 10/9/1993م

إرهابي ما بعد السلام : »إن الإرهابي حالياً هو كل من يقف في طريق اتفاقية "غزة - أريحا". لقد أثبت احتفال توقيع الاتفاقية هزال تهمة الإرهاب التي أعلنت واشنطن أنها تحكم علاقاتها مع العديد من الدول والتنظيمات. آخر ما بحث عنه الأمريكيون (وقبلهم الإسرائيليون) في تعاملهم الأخير مع منظمة التحرير الفلسطينية كان هذا "الإرهاب" الذي دوّت الاتهامات بشأنه على مدى حوالي ربع قرن من الزمن. إن ماضي المنظمة "الإرهابي" سقــط كله خلال لحظات حين قرر ياسر عرفات القبول بالشروط الإسرائيلية - الأمريكية المتعلقة بصيغة (الحكم الذاتي المحدود) ، وفق رغبات تل أبيب وواشنطن ، والاستنتاج المنطقي في هذه الحال : إن المطلوب هو سياسة معينة والإرهابي هو الذي لا يستجيب لها«.
الأسبوع العربي 20/9/1993م

»إذا سار هذا الاتفاق في طريق النجاح ، وإذا بدأت المساعـــدات الاقتصادية تنـهـال على الشعب الفلسطيني ، فإن عرفات سيكون قد نجح في "رشـــوة" شعبه لتأييد جهود المنظمة السلمية وزيادة شعبيتها وتكريسها كممثل شرعي وحـيـــد للشعب الفلسطيني ، وفي نـفـس الوقت ستسلم إسرائيل لعرفات ، الإدارة الأمـنـيـــة لمنطقتي غزة وأريحا ، لأجل التعامل بنجاح مع موجة التطرف الأصولي في المنطقتين، وبذلك يكون عرفات قد أدى خدمة كبيرة لإسرائيل وأراحها من أعدى أعدائها في منطقة الحكم الذاتـي، وهي حـركـــة الـتـطـرف الأصـولـي التي تـرفـض التعامل أو التفاوض مع اليهود لأن الإسلاميين يهدفون إلى تدمير إسرائيل عاجلاً أم آجلاً !«.
(صنداي إكسبريس) نقلاً عن الوطن 27/9/1993م

أيهما أصدق : » أستطيع أن أقول للشعب الفلسطيني : إن لديه صديقاً كبـيـراً فـي البيت الأبيض.
ياسر عرفات ، المجلة (711)

يقول الرئيس الأمريكي كلينتون: »أؤكد على أن القدس عاصمة موحدة أبدية لدولة إسرائيل مع رفض كامل لإقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع«
ساكن البيت الأبيض (كلينتون) القبس 23/9/1993م

الشرق أوسطية عنوان مرحلة ولماذا وقع الأردن؟

د/عبد الله عمر سلطان

الأردن يوقع اتفاق سلام مع إسرائيل ...
مصافحة تاريخية بين الحسن ورابين تنهي نصف قرن من الصراع ...
مولود جديد للسلام برعاية كلنتون ...
هل هي كرة الثلج تبدأ عادة بكتلة صـغـيــرة من ذرات الماء المتجمدة ثم تقذف بها عوامل خارجية إلى أسفل السفح فتتورم بإطراد وتكبر وهي تلقى مصيرها المنحدر؟
»لم يكن الاتفاق الأردني / الإسرائيلي في المحصـلـة النهائية إلا انعكاساً لوضع الذي يأخذ في التشكل هذه الأيام بعين اتفاق رابين / عرفات، ودلـيــــلاً آخر على أن من يحدد إطار اللعبة وحدود العلاقة في المنطقة هو طرف مستفيد من سقوط (قطع الدمينو العربية) واحدة بعد أخرى في سبيل ترسيخ النظام الشرق أوسطي الجديد. بهذه العبارات حدد أحد كبار المحليين الفرنسيين الوضع الحالي في المنطقة ، وأضاف :"كل ما فعله الحضور المسرحي لبيريز وحسن - ولي العهد- هو أنه أخرج الاتصالات الأردنـيــة/الإســـرائيلية من حيز السرية والظلام إلى السطح والواجهة الإعلامية.. لقد حاول الملك حسـيـن أن يخفي هذه الاتصالات التي كان آخرها قبل يومين من توقيع الاتفاق حينما رتب مع بيريز لتفاصيل "الحفلة" ونصوص وثيقة العلاقة القادمة... لكن الجميع يعرف أن رائـحـــة الـصـديــق الإسرائيلي كانت تفوح بشره في الأردن بعد كل لقاء حميم .

مهنته كملك...

قبل أكثر من عقدين تحدث الملك الأردني لصحافي فرنسي عن شخصيته وطموحاته وماذا يـنـتـظــر منه أن يقدم كملك للكيان الهاشمي ومشروعه القومي الذي فجره جده الشريف حتتين تحت حراب رجال المخابرات البريطانية.
لقد كانت مخاوف الملك حسين منذ صعوده إلى السلطة وهو شاب لم يتجاوز الثامنة عشرة أن يحافــظ على هـــذا الكيان المسمى بشرق الأردن ، وهذه المخاوف تغذيها دوماً حقيقة مزعجة ظلت تلاحــــق جـــده الملك عبد الله تتمثل في أن هذا الكيان "صُنع" على عين الإنجليز و "أقيم" في غرف وزارة المستعمرات البريطانية "كبديل" للوطن الفلسطيني الذي وُعد به الصهاينة داراً لحلمهم وموطناً لفكرتهم... و ، وكأي "ثائر" صُنع وبَزغ في مشرقنا التعس فقد سارع الملك عبد الله إلى تبني مشروع المملكة الأردنية الهاشمية كمرحلة مؤقتة حتى يتحقق حلمه السلطوي لأكبر بأن يكون ملكاً لسوريا وما تبقى من بلاد الشام ، هذا الوطن البديل لفلسطين كان ثمـنـه أن يقـبـل الملك عبد الله بالكيان الصهيوني على أرض فلسطين ويعترف به سراً وتجري الاتفاقات مــع الإنجليز واليهود مقابل تثبيت ملكه في ضفة الأردن الشرقية مع وعود مستقبلية بتولـيـتــه مقاليد سوريا مقابل حفظ أمن الكيان الصهيوني وضمان سلامته.

وفي خضم الاتفاقيات وتنفيذها سقط الملك عبد الله برصـــاص الاغتيال على بوابة الحرم المقدس وهو لم يهنأ بتحقيق حلمه الطموح وإن كان قد تولـى ملـــك الضفة الغربية ثمناً للمعركة الخاسرة التي أطلق عليها "النكبة" وهي في حقيقتها "الصـفـقــة" التي تاجر في سبيلها الشريف حسين وذريته بمقدرات ومقدسات وثوابت الأمة مقابل وهج السلطات وفي سبيل غرور الملك...

ألم يكن من السخرية أن يرفض الخليفة العثماني (التركي) عبد الحميد أن يبيع فلسطين لهرتزل وهو في أمس الحاجة للمال والدعم اليهودي والغربي ، وأن يتنازل الملك عبد الله (العربي) عن مسرى جده الهادي -صلى الله عليه وسلم- بعد أن وثّق الـمـعـاهـــدات مع وايزمن وبن غوريون...؟!

وإن كان حلم عبد الله كبيراً وجشعه مشهوراً فإن حفيده الذي تولى الملك بعد أبيه المريض كان ولا يزال يدفع ثمن فكرة الوطن/البديل ويحاول أن يتمسك بشرق الأردن في ظل تسارع الخطى نحو الحل النهائي الذي يقتبس فكرة خبراء وزارة المستعمرات القديمة والقائلة بإزاحة أهل فلسطين عنها وأحلامهم شرق النهر بعد أن عملوا على إقامة كيان وديع مسالم مستغرب يحكمه "هاشمي" لم يطلق رصاصة واحدة في وجه اليهود مما دفع إسحاق رابين للقول :»إن وجود الملك حسين ضروري لتحقيق السلام والأمن (أمن اليهود) حيث لم تشهد حدودنا حوادث إرهاب أو شغب في ظل حكمة العاهل الأردني«.

هل عرفتم إذن ماذا يعني "جلالته" بمهنته كملك؟؟

تحديات أضخم من الإمكانات :

بالـــرغــم مــن النعوت والصفات والمواهب الشخصية التي يتمتع بها الملك الأردني فـــإن الصحافي البريطاني الشهير (دايفيد هرست) صديق الحسين لخص الوضع في الأردن عشية عودة الحسين من رحلته العلاجية بالقول : إنه الملك الذي شهد أعنف التحديات في ظل التحدي الناصري والقومي وواجه بحسم الثورة. الفلسطينية التي صفيت في أيلول الأسود عام 1970م وفاقت شعبيته أي زعيم آخر في المنطقة أيام حرب الخليج حين وقف في صف العراق ليصبح في خانة الثوريين ولذا فقد أصبح يخاف من المستقبل حيث عوارض المرض الخبيث (السرطان) ، وموجة الإسلام السياسي العاصفة ، وأهم من ذلك وضع الأردن بعد السلام وهذا كله يجعل من موقف الحسين موقفاً صعباً... وما لم يقله صديقه البريطاني ما قاله معلقون آخرون "إن الأردن أصبح مرتبطاً بوجود الحسين فبوجوده يبقى وبزواله ربما يضمحل..."

إن التحدي الحقيقي قد جاء من الجهة الأخرى من ضفة نهر الأردن حيث يسعى اليهود الذين تربطهم بالعرش الهاشمي صلات سرية وثيقة أن يكون الأردن هو البديل عن أرض الرسالات التي من المستحيل - في عرفهم - أن يحكمها سواهم ، وفي ظل الوضع العربي العاجز والانهـيــــار الذي انتاب قيادة

المنظمة "العرفاتية" فلا يستبعد أن يحل "الناطور الفلسطيني" محل "العـاهـــل الهاشمي على المدى المتوسط / البعيد... ، وهكذا فقد يجد العاهل الأردني القادم أن "المملكة العربية" التي وعد ماكموهن جده بها قد انكمشت ، وأن الوطن البديل قد أصبح فكـــــرة قائمة وبعيدة عن حكم ذرية الحسين. التي أدت للمعسكر الغربي أكبر خدمتين في المنطقة خلال قرن : تصفية الخلافة الإسلامية العثمانية وتسليمها (مع غيرهم) فلسطين بقدسها لليهود.. وكل هذا يتم تحت لافتة ضخمة يحملها "شريف" من آل البيت...!

الاتفاق الباهت!

في ظل السباق القائم بين عرفات والحسين بعد أن اتضح أن أمريكا وإسرائيل قد قبلتا يد عرفات المدودة بخنوع وذلة ؛ وقع ولي عهد الأردن مع بيريز "سفر السلام" القادم حتى يضمن الأردن دوراً في النظام الشرق الأوسطي الجديد بالرغم من أن أول من انتقد اتفاق السلام الفلسطيني اليهودي كـــــان "جلالة الحسين" لكنه سرعان ما ابتلع اعتراضاته وتهديداته وأصبح الاتفاق في نظره "خطوة شجاعة" و "علامة جريئة" تستحق أن تحظى بكل الدعم ، فالمرحلة المقبلة هي مرحلة كسب الرضى الإسرائيلي ، والأردن له سجل مشرف (في ظل قيادة الحسين) في حفظ أمن الدولة العبرية...
ومع كل هذا يظل التحدي أكبر من مهارة الحـسـيـــن ودبلوماسيته ومراوغته السياسية ، صحيح أن الحسين ، كما قال هرست قد خــاض بحر الظلمات العربية وخرج سالماً حتى الآن ، ولكن الصلح مع اليهود وعلاقة شــرق الأردن بالدويلة الفلسطينية الرمزية في غزة وجزء من القطاع تقتضي أن يدلف "الصانعـــون" للكيان الأردني للموضوع دون رتوش أو مقدمات لأن المسألة تمس وجود الأردن ذاته الذي وُضع منذ البداية كوطن بديل لفلسطين ، الحسين في هذه المرحلة لا يواجه الأشقاء العرب... إنه يواجه السادة الذين سمحوا له بالوجود! وإن كانت الظروف تقـتـضي "تأمير" وتمليك القميص الأردني للملك عبد الله وذريته في السابق ؛ فإن الأردن مـنــذ البداية في الفكر الصهيوني / الصليبي هو الوطن الفلسطيني على المدى البعيد ، واذا كان هذا الهدف يتعارض معه بقاء الأسرة الهاشمية واحلالها بقبائل عرفات ومنظمته فإن هذا الحل سـيـجـد طريقه للواقع وهذه التضحية بحسن أو حسين ليست غالبة حتماً.... مع ميل الـعـواصـــم الغربية إلى تفضيل القيادة الأردنية الحالية المتمرسة في قياد اللعبة بمهارة وحنكة ، خـصـوصـــاً أن على اللائمة موضوعاً يثير "مثلث السلام" الأردني/الفلسطيني/الإسرائيلي والمتمثل بتحجيم الحركة الإسلامية على ضفتي النهر، وهنا فربما خرج الحسين رابحاً ومنفذاً لهذا الهدف الثالث الذي يحلم الغرب بتحقيقه فـي مواجهته الحضارية الراهنة مع الإسلام ، وتلك مهمة تستحق أن يندمج فيها الـمـمـثـلـون حـتــى لا تعرف في النهاية الحسين من عرفات من رابين...!
أليست المرحلة تحمل عنوان "الشرق أوسطية"؟.

شؤون العالم الإسلامي

طاجكستان
تدخل النفق الأفغاني

د. مالك إبراهيم الأحمد

توطئة :

مع دخول العام الثاني لاستيلاء الشيوعيين على الحكم في طاجكستان ، وما رافق ذلك من مأساة إنسانية بالغة ، تدخل القضية الطاجكية النفق الأفغاني ، حيث أصبحت أفغانستان منطلقاً للمجاهدين الطاجيك ، ومكان استـقـبال لآلاف من اللاجئين ، وقد وقعت الحكومة الأفغانية الوليدة في حرج بالغ يشبه وضع (بـاكـستان) سابقاً ، مع اختلاف طفيف وهو أن القضية الأفغانية كانت تمثل سابقـــاً ساحة صــراع بين الأمريكان والسوفييت؟ مما تطلب دعماً أمريكياً غير مباشر للأفغان كي يقـفـوا أمام الـمد الشيوعي ، أما في القضية الطاجكية فالتخوف من المد الإسلامي في الجمهوريـــات هـــو هاجس الغرب والشرق على السواء. ونعرض هنا إلمامة بتطورات الأحداث الأخيرة ومواقف الفرقاء حولها.

الموقف الروسي :

تعتبر روسيا نفسها وريثة الاتحاد السوفيتي،وبالتالي فهي مسؤولة عن الدول التي خرجت من المظلة السوفيتية ، وعـلـى وجــه الخصوص تلك الدول الفقيرة والمتخلفة (الجمهوريات الإســـلامية)، وسبق للكثير من المسؤولين الروس الحـديث عن الأمن القومي الــروســـي، وارتباطه بأمن الجمهوريات الإسلامية ، فمثلاً صرح وزير الخارجية الروسي بقوله : »ظهرت بوادر عدم الاستقرار على طول الحدود الروسية وبالتالي فإن صون السلام أصبح من مقومات أمــــن روسيا القومي واضطلاع روسيا بمسؤوليتها الخاصة عن حفظ الاستقرار في أراضي الاتحاد السوفيتي السابق...«.

وبهذا المفهوم ينطلق التحرك الروسي بدءاً من الرئيس يلتسن بتصريحه "ليعلم الجميع أن هذه الحدود- يقصد الطاجكية / الروسية- هي حدود روسية وليست طاجكية«.

ولقد أيده البرلمان رغم اختلافه في كثير من القضايا مع الرئيس يلتسن والغريب أن الموقف الروسي واضح وصريح ، بدءاً من التدخل المكشوف لإسقاط الحكومة الائتلافية ، ودعمه ثانياً للجبهة الشعبية الشيوعية حتى صعودها للحكم على أشلاء المسلمين.

ويتحدث الـمـســؤولون الروس عن القضية الطاجكية ، وكأنها جزء لا يتجزأ من روسيا ، ويقول وزير الخارجـيــــة الروسي : "لا حوار مع المعارضة-

الطاجكية- إلا بالصواريخ" وكأنه يتحدث عن معارضة داخل روسيا - وللتدخل الروسي في القضية الطاجكية مبررات لعل أهمها :

الخوف من الأفغنة: فالتورط الروسي في أفغانستان سبب الكثير من المشكلات للروس ، ولعلها من الأسباب الرئيسية لسقوط الاتحاد السوفيتي. وبالتالي فلا يريد الزعماء الروس أن تتحول طاجكستان إلى أفغانستان ثانية تكون مصدر قلاقل لهم مستقبلاً .

- الخــوف من "المد الأصولي" لاشك أن الانبعاث الإسلامي في الجمهوريات عموماً ، وفي طاجكستان خصوصاً ، يمثل تهديداً للنصرانية في الشمال وبالتالي فإن قيام دولة إسلامية في طاجكـسـتـان سوف يشعل الفتيل في بـقـية الجمهوريات وطاجكستان تمثل أضعف دولة في الجمهوريـــات ، وفيها أقوى حركة إســلامية في المنطقة ، والمد الإسلامي لو استفحل في نظرهم قد يصل إلى روسيا نفسها حيث يوجــد فيها حوالي 50مليون مسلم مما يهدد بتفكك وسقوط الاتحاد الروسي نفسه.

الجانب الاقتصادي والثقافي :

كان الوضع الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي سابقاً مرتباً بطريقة خبيثة جداً فالجمهوريات الإسلامية عـمـــوماً مصدر المواد الخام والجمهوريات النصرانية مناطق الصناعة والمدنية ، ولقد امتص الكـثـيـر من خيرات هذه الجمهوريات لصالح روسيا وجاراتها ، وطاجكستان إحــدى هذه الأمـثـلـــة فالبلد متخلف جداً من النواحي المدنية والصناعية ، إنما هي فقط مـصـدر للمواد الخام لـروسـيــــا ففيها اليورانيوم والفضة بكميات كبيرة فضلاً عن المعادن الأخــرى ، والسيطرة الروسية العسكرية على المنطقة تضمن لها استمرار بقاء هذا الشريان خـصـوصــــاً أن روسيا هي مصدر الطاقة لهذه الجمهورية وغيرها من الجمهوريات ، فهي بالتالي تمسك بتلابيبها ، وتنظر روسيا إلى هذه الجمهوريات على أساس أنها متخلفة وغير متحضرة ولا تحسن الديمقراطية ونظراً لكون روسيا دولة متقدمة وديمقراطية فإنها تشعر - كما تزعم - بمسؤوليتها الأدبية تجاه هذه الجمهوريات.

الوجود الروسي :

يـعـيـش فـي الجمهـوريات الإسلامية- ومنها طاجكستان : ما يقرب من 30 مليون روسي يسيطرون على الإدارة والصناعة والتجارة ويعملون في الاستسمارات الروسية، ونظراً لشعور روسيا بمسؤوليتها تجاه مواطنيها فإنها لا بد أن تقف مع الاستقرار في المنطقة خصوصاً مع نظرة الخوف والشك في حال وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم في روسيا.

الدور الأمريكي :

كان الحضور الأمريكي في منطقة الجمهوريات مبكراً ، ولقد افتتحت الولايات المتحدة لها مقار دبلوماسية لمتابعة أوضاع الجمهوريات ، ومراقبة الوضع

الأمني خصوصاً مع اختلال الموقف الروسي عند سقوط الاتحاد السوفيتي ومع بداية الأحداث شاركت القوات الأمريكية بصفة سرية للغاية ومحدودة في معاونة الجبهة الشعبية لإسقاط الائتلاف الإسلامي الديمقراطي ، وبعد استقرار الأوضاع دعمت - صراحة - نظام (دوشانبه) الشيوعي وأيدت - بإطلاق - التدخل الروسي. وقد ذكرت مصادر إعلامية وجود وثيقة سرية بين روسيا وأمريكا تخول فيها الثانية للأولى التحرك بحرية في الجمهوريات للتصدي للأصولية الإسلامية هناك. رغم مأساة اللاجئين الذين يقاربون المليون ، والضحايا الذين سقطوا وهم يعدون بعشرات الألوف - فإن الإنسانية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص غائبة تماماً عن الساحة ولم يُقَدَّم إلا الفتات من بعض المنظمات الصليبية.

كذلك لعبت أمريكا بالورقة الأفغانية وحركت عملاءها في المنطقة لدعم الفوضى السياسية في ذلك البلد ، وإشغال هذا النظام الإسلامي الوليد بنفسه كي لا تصبح أفغانستان بالنسبة للطاجيك كباكستان سابقاً بالنسبة لأفغان وذلك خوفاً من امتداد المارد الإسلامي إلى وسط آسيا.

موقف دول الجوار:

بالنسبة للجمهوريات الثلاث (أوزبكستان - تركمانستان - كازخستان) فالحكم فيها للشيوعيين، أما "قوقيزيا" فيحكمها العلمانيون لكنهم جميعاً يقفون صفاً واحداً أمام الحركة الأصولية الإسلامية - كما يسمونها - وقد دعموا جميعاً نظام دوشانبه خوفاً من امتداد الأمر إلى جمهورياتهم ولعل أوزبكستان أكثر الدول دعماً لنظام دوشانبة فلقد شاركت منذ الأيام الأولى في الأحداث عسكرياً ومادياً وبشرياً.

وبالنسبة لإيران الرافضية ذات الوجهين فإن موقفها المتخاذل يماثل موقفها من شيوعي أفغانستان فهي فقط تدعم طائفتها وتجهزهم للمستقبل والموقف المعلن هو العمل على عدم اتساع رقعة الحرب.

أما تركيا العلمانية فإنها أيضاً دعمت الشيوعيين واستخدمت ورقة الأوزبك ذوي الأصول التركية ودفعتهم - وهم لا يحتاجون إلى دفع - لمواجهة الإسلاميين ، ومن جانب آخر أيدت الموقف الروسي وتدخله المباشر في شؤون هذه الجمهورية.

دور الأمم المتحدة :

منذ أزمة الخليج دخلت الأمم المتحدة طرفاً مباشراً في الأزمات العالمية لكن مع غياب شبه كامل لاستقلاليتها في اتخاذ القرارات ، بل أصبحت أحياناً كثيرة طرفاً في الصراعات كما هو حالها في الصومال والبوسنة.

وفي طاجكستان كان موقف الأمم المتحدة متناسباً مع توجهاتها الحالية من المسلمين وقضاياهم فوسيطهم المكلف بالقضية كان دوره مؤيداً للحكومة الطاجكية الشيوعية ، وبدلاً من أن يكون وسيطاً نزيهاً في الأزمة ،

رفــــض مقابلة مندوب الجبهة الــرئيسية للمعارضة (حزب النهضة) وذلك أثناء زيارته لباكـسـتان وزار مخيمات اللاجئين وطلب منهم العودة حالاً إلى ديارهم رغم معرفته بظروف هروبهم وأسبابها ، من جهة أخرى نجده يمتدح تلك الحكومة العميلة ويثني على مواقفها في حل الأزمة!!.

وضع المجاهدين الطاجيك :

بعد سيطرة الشيوعيين على الحكم في (دوشانبه) وإعدام الكثيرين من اتباع حزب النهضة هربت البقية الباقية منهم إلى الجبال وإلى أفغانستان المجاورة والتي يمثل الطاجيك فيها نسبة كبيرة من السكان وخصوصاً في الشمال.
وقد بدأ حزب النهضة بعد ذلك بتكوين قوات عسكرية لمواجهة الـنـظـــام الدكتاتوري في طاجكستان مستخدمين أفغانستان منطلقاً لتحركاتهم لأسباب كثيرة من أهمها الدعم الذي حصلوا عليه من إخوانهم الأفغان ، وللحدود الطويلة المشتركة (أكثر من ألف كيلو متر) مع طاجكستان.
كانت البداية عمليات اختبار وجس نبض للوضع الأمني على الحدود والذي يسيطر عليه الروس بشكل أساسي ، ولقد كانت ردة الفـعـل الروسية عنيفة منذ الأيام الأولى لمحاولات الاختراق ، فلقد قصفت القوات الروسية تجـمـعات المجاهدين واللاجئين فـي الطـــاجيك أفغانستان ، فضلاً عن التهديد الحكومي الروســي بالرد القاسي مستقبلاً إزاء أي محـــاولة اختراق للحدود ، وفي الجملة لم تبدأ العمليات الجهادية الفعلية حتى الآن نظراً للظروف الصعبة التي يعيشها المجاهدون وإمكاناتهم الماديـــة المحدودة. ومن التحديات التي قـــد تواجــــه المجاهدين مستقبلاً ولعل بوادرها ظــهـــرت الآن حيال وضع بدخشتان المنطقة الجبلية - ذات الاستقلال الذاتي - والمتاخمة للحدود وذات المساحة الشاسعة (45% من مساحة طاجكستان) والتي يقطنها الإسماعيليون (الغلاة) - وإن كان عددهم محدوداً (180 ألــف نسـمـــة) - إلا أن موقعهم الاستراتيجي بالنسبة للمجاهدين له حساسية فائقة فلقد شــــارك بعض مـنـهـم فــي الوقوف أمام الحكومة وبالتالي هم مصنفون ضمن المعارضة لكن الحكومة تحاول منذ مدة استمالتهم إلى جانبها وعرضت عليهم مشروعات لتطوير المنطقة ، ولقد ذكرت وسائل الإعلام استيلاءهم. على شاحنات للمجاهدين تحمل أدوية وأغذية إلى إخوانهم في الداخل مـمـا يـنـبــئ بمـوقـفـهــم الحقيقي حيث سيكونون شوكة في خاصرة المجاهدين كما هو حال إخوانهم الرافضة في افغانستان.

مستقبل القضية :

لاشك أن من أسباب النصر كما بينها القرآن الكريم هو نصر المسلمين أنفسهم لله أولاً ((إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ)) وبذلهم الأسباب المادية ثانية ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)) وانتصار المسلمين على أعدائهم ليس بغلبة المادة ولكن بتمسكهم بالعقيدة الصحيحة واليقين بالله والالتزام بأوامره

والانتهاء عن محارمه ، أما الشيوعيون فهم ساقطون لا محالة والزمن بإذن الله كفيل بهم ، ولكن تعاضد أهل الضلالة مع بعضهم يقوي شوكتهم ويطيل أمدهم .
والحكومة الشيوعية تعرف ضعفها وافتقارها للشعبية ولذلك تعتمد كلية على الدعم الروسي والأوزبكي وقامت بعقد معاهدة أمنية مع روسـيــا في هذا العام ، ورغم محاولات الوساطة بين الرئيس رحمنوف والمعارضة (النهضة) إلا أن الـرئـيـس يرفـضـهــا ويتهم من يسميهم بالأصوليين بالإجرام والإرهاب وهو الوصف الذي ينطبق عليه وعلى الجبهة الشعبية تماماً والذين أودوا بحياة عشرات الآلاف فضلاً عن الجرحى وما يقارب المليون من المهاجرين ، أما عن موقف المجاهدين ، فرئيس حزب النهضة من جانبه لا يعترف بالحكومة الحالية والتي نصبها الروس والأوزبك وبالتالي فلا مجال - من وجهة نظره - للحوار معها .

الخاتمة

مع توالي الأحداث تبقى القضية الطاجكية مغيبة إعلامياً ولا تكاد تلمح إلا إشارات قليلة هنا وهناك ورغم الوجود الإعلامي الغربي القوي في مناطق الأحداث في العالم إلا أننا نرى إهمالاً إعلامياً متعمداً للقضية في وسائل الإعلام الغربية والعربية من باب أولى ؛ لأنها عالة على الوكالات الأجنبية. وفي الحقيقة تعتبر القضية الطاجكية لعبة الــدول الـكـبـــرى ، وتجربة فريدة في مواجهة المد الأصولي المزعوم. وفي مواجهة هذا الكيد تقوم حركة الجهاد بقيادة حزب النهضة الإسلامي والذي يحمل إيجابية كبيرة- لعلها استفادت من التجربة الأفغانية- ألا وهي الوحدة ، فالتفرقة بين مجموعات الجهاد الأفغانية أدى إلى ضياع ثمرة الجهاد بعد سقوط الحكم الشيوعي ، وهناك مبشرات للجهاد الطاجيكي فقد سقطت قبل أيام مدينة طوس (200 كم عن العاصمة) بأيدي المجاهدين ولعل انشغال الروس بقضاياهم المحلية ولو مؤقتاً يكون فرصة لاندفاعة قوية لذلك الجهاد الذي يحتاج إلى الدعم من كل المسلمين خصوصاً في هذه الأيام الحرجة قبل دخول الشتاء حيث تصبح الأمور صعبة جداً. فالبدار البدار لنجدة إخواننا في العقيدة والدين.

محاضرات إسلامية

الصحوة الإسلامية وأزمة المثقفين في ديار الإسلام (2)

جمال سلطان

قدمنا في القسم الأول من هذه المحـاضــرة ، الحديث عن أهم معالم الإيجابية في الصحـوة الإسلامية الجديدة ، وهي أيضاً المعالم الـتـي تكـشــف لنا أبعاداً من أزمة الثقافة في ديـار الإسلام ، تلك الثقافة التي تأسست في تاريخنا الحــديـث عــلــى فـكـــر الاغـتراب وأدب الاغـتراب وقيم الاغتراب ، وكانت في قسمها الأعظم - على عداء ظاهــــــر أو مُسـتـخف لـلإســــــلام ، وتاريخه وشريعته وتراثه ورموزه. وهذه الحقائق التي أبرزناها في "حركــة الثقافة" المعاصرة في ديار الإسلام ، والتي تشرح لنا أسرار هذه اللوحة الساخرة من الأقوال والمواقف التي تصدر عن ثقافة العلمانية والاغتراب بكل تياراتها ومذاهبها ، والتي نـذكـر منها بعض الشوارد على سبيل التمثيل للأزمة والتأسيس للقياس :

- طوال العقــود الماضية ، كانت الديمقراطية هي شعار الثقافة العلمانية ، على اخـتلاف مذاهبها ، مــــن أقصى اليسار (الماركسية) حتى أقصى اليمين (الليبرالية) حتى إن أعـتـى منظري الديكتاتورية الناصرية وما شابهها ، كانوا يرفعون شعار الديمقراطية ، وقد طـغـى هذا الشعار على الخطاب السياسي والفكري في السنوات الأخيرة بشكل صارخ حتى وقعت واقعة الجـزائــــــر ، وأجريت تجربة ديمقراطية حرة نظمتها الحكومة، ورتبت دوائرهـا، واحتاطت لنفسها باعتقال قادة الإسلاميين ومهدت لها بحملة إعلامية لتشويه صورتهم ، ثم كانت النـتـيـجــة- كما نعلم - الفوز الساحق للجبهة الإسلامية للإنقاذ، وأعلن الشعب الجزائري المسلم بوضــوح مذهل وبحسم رائع، أنه لا يريد سوى هؤلاء يحكمونه ويقودون البلاد.

وهــنـا انقلبت تيارات الفكر العربي بزاوية مائة وثمانين درجة ، لنرى دعاة الديمقراطية بالأمس ، ومن جعلوها ديناً ، وقدساً مقدساً ، أكثر الناس خوفاً منها ، وأول الدعاة للكفر بالديـمـقـــراطية ، وأول المنادين بتأجيل "الخيار الديمقراطي" وما ذلك إلا لأن "الإسلام" ومنهجه يوشك أن يحكم ، وتحالف العلمانيون واليساريون ودعاة التقدم ، وتحرر المرأة ، والليبراليون والقوميون والعرقيون تحالفوا مع اللصوص والمفسدين والطغاة والجنرالات ومع الغرب الصليبي ليقفوا صفاً في وجه الشعب وفي وجه الإسلام ودعاته ورجالاته ، وأصبح الشعب الجزائري ، بل الشعوب العربية كلها: منذ ذلك الحين - متهمة في عقلها ، وفي وعـيـهـــا، وفي قـدرتها على الاختيار لا لشيء إلا لأنها اختارت الإســـلام، ولـم تـخـتـر الشيوعيين أو اللصوص أو الملاحدة أو دعاة الفتنة العنصرية.

هذه الفضيحة التاريخية ما زالت أصداؤها تتردد ، شاهدة على "خيانة" الثقافة العلمانية والمغتربة للشعوب ، ومجاملتها الصريحة للطغاة والمستبدين ، بل كشفت صراحة عن كون ثقافة العلمانية هي الحليف الطبيعي للاستبداد في بلاد المسلمين.

- الخلاف واضــح - كما نعلم - بين الجبهة الإسلامية في السودان التي تدعم الحكومة السودانية ، وبـيـــن المعارضة السودانية علمـانـيـة وصليبية وشيوعية وعنصرية وقد يكون محور الخلاف الأكـبــر الذي عبرت عـنـــــه المعارضة ذاتها ، ربما مغازلة للقوى الغربية المتوثبة على كل ما هو إسلامي ، هـو "تبني الحكومة للمشروع الإسلامي" بغض النظر عن تفصيلات الأمر ، ولا بــأس من حيث مقـتضـيات الخلاف السياسي بمفهومه العلماني في ذلك الخلاف والمعارضات ، أمــا الأمر الذي يخرج عن حدود الخلاف المشروع في أي ملة وأي مستوى ثقافي أو حضاري، أن يتنادى مثقفون سودانيون وينادون بالتدخل الاستعماري في السودان لإزالة الحكومة القائمة وإحـــــلال المعارضة الوطنية (الشريفة) مكانها!! لقد تحالف المثقفون السودانيون العلمانيون والـــشـيـــوعــيون مع العنصري المرتزق - إسرائيلياً وأمريكياً - جون قرنق بدعوى التحالف مع فصائل سودانية ، فبأي منطق إذن يتحالفون مع الصليبية العالمية والغرب الطافح حقداً على الإسلام والمسلمين ، وهو ما ينجلي الآن في البوسنة غيرها ، ما معنى المشروعية في التحالف معه لـــضــرب أبــنــاء وطني وديني بمن اختلف معهم ، وبأي مسوغ أطالب بالقفز على كرسي الحكم من فوق دبابات الاستعمار؟!.

- سمعنا- بلا شك - بالمأساة التي وقعت في تركيا مؤخراً ، من ثورة غــضــب شعبي عارم أدت إلى مقتل ما يقارب الأربعين شخصاً بـخـــلاف الإصابات ، وكان ســبــب الموقعة أو "الفتنة" أن العلماني المخضرم "عـزيـز نـسـيـــن" رأى أن ما يحيق بالشعوب المسلمة أو المستضعفة ومنها الشعب التركي المسلم ، ليس هو ما يحدث في البلقان - منطقة الخطر الأولى تاريخياً على تركيا ، وما يحدث في البوسنة والصومال وأذربيجان وغيرها من ديار المسلمين ، ولا هو الغارة العنصرية واسعة النـطـــــــاق التي تجتاح أوربا اليوم ، ويروح ضحيتها- في ألمانيا خصوصاً- الأتراك المسلمون.

المثقف المستنير "عزيز نسين" رأى أن ذلك كله "لعب صبيان" أما الضرورة التاريخية الملحة ، والمخرج من هذا الحصار الخطير ، يكمن في ترجـمـــــة رواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدي ، وعقد ندوات حولها فننعم بسب دين الله ، وتحقير مقدسات المسلمين ، ، وسب الشعب التركي ذاته ، وأخيراً إشعال فتنة أزهقت فيها الأرواح ودمرت فيها البلاد. لقد رأى المثقف العلماني - بغباء أو تغابي أن الطريق إلى النهضة وتحريك الأمة وصد غارات المستكبرين ، ليس إلا طريقاً واحداً أو بوابة واحدة ، هي بوابة الشيطان وآياته؟

- الشيء نفسه أو قريب منه قام ويقوم به العلمانيون والشـيـوعيون في مصر الآن ، حيث أصدر العلماني النصراني "غالي شكري" ملفاً كاملاً في مجلة "القـاهــرة" أهم مجلة ثقافية مصرية الآن ، أرش مجهولون "رئاسة تحريرها إلى نصراني علماني مشبوه ، تاريخه حافل بروائح العفن الصحفي والسياسي

والفكري ، من أول اشتغاله بمجلة "حوار" التي كشف النقاب عن تمويلها مباشرةً من "المخابرات الأمريكية" ، الصحفي وليد أبو ظهر في "الوطن العربي"(*) هذا المشبوه ، دون غيره من مثقفي مصر ، يوكل إليه رئاسـة أخطر مجلة حكومية ثقافية والرجل كان عند الظن به ، فأصدر ملفاً في المجلة ، عن "التنوير" جعله كله للدفاع عن سلمان رشدي ، وعن نظير له محلي ، يُدعى "نصر أبو زيد" وحاول المشبوه أن يقنع أسياده بأنه - هو والنصراني العلماني - ينور الشباب المسلم ويجذبـهـم إلـى "الاستنارة والعقلانية" بعيداً عن التطرف الإسلامي والأصوليين.
- التحالف الشيوعي العلماني في مصر ، يتوسد الآن معظم المنافذ الإعلامية والثقافية الرسمية ، وفي زفة مواجهة التطرف الديني ، وضعوا خطة "للتنوير" كان قوامها إعادة طبع ونشر كتابات "السلف العلمانيين" التي كتبت منذ مائة عام أو يزيد لقاسم أمين وعبد الرحمن الكواكبي وأحمد لطفي السيد ورفاعة الطهطاوي وعلي عبد الرازق وأيضاً "سلامة مـوسـى" وكان الأمر ليس مثيراً للدهشة أن يوكل أمر هداية الشباب المسلم إلى نصراني مصري فما بالك إذا كان من نمط سلامة موسى ، الذي يحمل كل احتقار ورفض لكل ما يمت إلى العرب والمسلمين بصلة؟
- في مصر الآن حركة غريبة ومفاجئة ، بقدر ما هي مثيرة للفرح والبشر ، وتلك هي توبة نفر من الـرموز الفنية الكبيرة والشهيرة - ولا سيما الفنانات - ورفضهم التمثيل جملة وتفصيلاً ، واعـلانهم البراءة من هذا الوسط المتعفن ، والتزام الفنانات منهن بالحجاب والطهر ، واشـتـغـال العديد منهم ومنهن بالدعوة إلى الله ، خاصة في أوساط الشرائح الاجتماعية المترفة وفي أوساط النساء ، هذه الظاهرة التي يفرح لها وبها كل مؤمن أثارت حقداً مريراً ، وغيظاً طافحاً ، في نفوس رموز الثقافة العلمانية ، ليس في مصر فقط ، بل في أنحاء كثيرة من البلدان العربية ، وقد قاد التحالف (العلماني/الشيوعي) وأذناب الغرب ، قادوا حملة تشويه بـشـعـة ضد هؤلاء التائبين وبخاصة التائبات ، وقد روجوا إشاعات عديدة عنهن ، منها حصولهن على مبالغ مالية طائلة من بعض الأثرياء لكي يعتزلن الفن ، ومنها الغمز بأنهن مريضات وقد ضعفت نفوسهن أمام المرض ، ومنها القول بأنهن تبن عن "انحرافات شخصية" وليس عن التمثيل والوسط الفني ، وكان الوسط الفني هو المجال الطاهر والمطهر والنزيه الشريف الذي زاد طهراً ونقاء بخروج هؤلاء المنحرفات عنه.
هذا بالرغم من أن رائحة الـعـفـن في هذا الوسط هي من الانتشار والذيوع إلى الحد الذي يستحيل على عاقل إنكاره أو تجاهله ، ولكن الثقافة العلمانية وأذناب الغرب في ديارنا أبوا إلا أن يقولوا ما قال المجرمون في الزمن القديم :
((أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)) .

وعبثاً في هذا الخضم المظلم أن تسألهم عن الحرية الشخصية ، وحقوق الإنسان!.
- هذه الحادثة تذكرنا بما وقع في الأردن منذ أشهر قليلة، عندما هاج العلمانيون وماجوا، ونـدبــوا التحضر والاستنارة ، لأن قراراً صدر بالفصل بين الجنسين في حمامات السباحة حتى لا يرى الرجال والنساء بعضهم بعضاً عرايا ، واعتبروا ذلك ردة حضارية ، وعودة إلى "القرون الوسطى" أي والله هكذا قالوا.
- هناك - أيضاً - قضية المجاهدين العرب في أفغانستان ، وهي قصة من أروع قصص الجهاد والبطولة في تاريخ العرب والمسلمين الحديث كله ، فلما فتحت ساحات الجهاد في أفغانستان ، بعد أن سدّها "المغاوير" على حدود فلسطين ، واعتقلوا كل من تسول له نفسه المساس بأمن إسرائيل ، لما فتحت ساحة الجهاد في أفغانستان هرع الشباب المسلم من العرب وغير العرب يقاتلون في سبيل الله ويدافعون عن أرض الإسلام ، حتى منّ الله عليهم بالنصر المبين ، والذي لا يقلل من شأنه أبداً ما كان أو يكون بعد ذلك من خلاف وشقاق بين الأفغان أنفسهم . المهم في القضية أن هؤلاء المجاهدين ، في مجموعهم ساخطون على حكومات بلدانهم ، ومعارضون لسياساتها ونهجها ، ومن جهة مقابلة ، خافت بعض هذه الحكومات من عودة هؤلاء المجاهدين ، وقيامهم بأعمال عنف ، وهم على كفاءة قتالية عالية ، فوقعت هذه الموجة العارمة من التحذير من هؤلاء "الأفغان" ، وركب العلمانيون الموجة ، وتوطنت ثقافة التخريب في جروح المجتمعات ، لتعمق الجروح ، وتعزز الأوجاع ، وتوسع نطاق الفتنة ، إضافة إلى هذا الانحطاط العجيب في "الحديث عن هؤلاء المجاهدين ، بجعلهم عملاء لأمريكا ، أو عملاء لباكستان أو مجرد مرتزقة ، وبعد أن كانت مثل هذه الشتائم وقفاً على الشيوعيين العرب العميل المعتمد للاتحاد السوفيتي سابقاً ، أصبح الأمر مشاعاً واجتذب سوق الشتائم السياسية ليبراليين وقوميين ومحافظين وغيرهم.
إن الحقيقة التي سجلها التاريخ واعترافات الشرق والغرب بروعة هذه الملحمة التي شهدتها أرض أفغانستان إنما تنطق بمعنى واحد لسياقنا الحالي وهو: أن شسع نعل أحد هؤلاء المجاهدين العرب لو مسح بوجه علماني من هؤلاء الموتورين لطهره ، وما كنا لنتوقف عند هذه الترهات لثقافة العلمانية ، لولا ضرورات السياق لتسجيل مشاهد على أزمة المثقفين في ديار الإسلام .
- وأخيراً - نذكر- من مُلح مواقف وتصريحات المثقفين العلمانيين - ما صرح به من سمي "الأمين العام لحزب التجمع الوحدوي التقدمي" المصري ، وهو أكاديمي ورمز شيوعي سابق تداولت الصحف اسمه في أعقاب فضيحة نشر وثائق المخابرات السوفيتية فيما يتعلق بالرواتب التي كانت تدفعها الـ "كي جي بي" للتقدميين المعروفين في العالم الثالث.

الرجل زار تونس منذ وقت ليس بالقصير ، وقد أعلن عبر أجهزة الإعلام التونسية أنه يطالب بجعل يوم تولي الرئيس "زين العابدين بن علي" للسلطة في تونس "يوم عيد" ليس عيداً تونسياً وحسب ، بل عيداً للعرب جميعاً ؟ وسبب ذلك أنه - في نظره - نجح في قمع الأصولية في بلاده!..

الهوامش:

* لقد سبق الصحفي والكاتب المعروف (محمد جلال كشك) أن كشف هذا الأمر في مجلته السابقة الشعب والأرض) - البيان -

---

في دائرة الضوء

الأصالة والحداثة
قراءة في فكر د. زكي نجيب محمود (1)

د. نعمان السامرائي

د. زكي نجيب محمود علم من أعلام العلمانية المعاصرة عرف بمنهجه القائم على الفلسفة الوضعية المنطقية ، التي تُهمش كل مـا يـتـصـل بعالم الغيب وعلى ضوئها ألّف عدداً من الكتب من أشهرها : (خرافة الميتافيزيقا) وكان محــل نقد كثير من علماء مصر ومفكريها ، لكنه بقي متمسكاً بمنهجه هذا وأعاد طبع كتابه دون تغـيير يذكر سوى تعديل العنوان إلى : (موقف من الميتافيزيقا) مع مقدمة تبريرية جــديــدة. والحق يقال أنه بعد أن اطلع على التراث العربى تغير موقفه المهاجم إلى موقف آخر أقـــل حدة ، وأكثر مراوغة! ، وهذا ما وضّحه في كتابه : (تجديد الفكر العربي المعاصر) الذي اعترف فيه بجهله بالتراث العربي ودعوته إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة فالأصالة شكل والمعاصرة مضمون.

ويسرنا في هذه المجلة أن نقدم هذه الدراسة التقويمية لفكره بعد أن استغلت وفاته من قبل الإعلام العلماني في تكريسه رمزا من رموز الفكر العرى المعاصر.

- البيان -

بعض الأفكار والاهتمامات تنقدح في الذهن ثم تختفي ، والبعض يرسب في أعماق النفس ، بحيث تبقى "تلح" على صاحبها ، وكأنها تذكر بنفسها ووجودها. وأذكر- حتى هذا اليوم - تلك الساعات التي كنا نناقش فيها- ونحن في مرحلة الدراسة المتوسطة- الأمم المتقدمة وغير المتقدمة ، وحاولنا بسذاجة أن نحــدد "معايير" لذلك. ثم كرت الأعوام وكثرت وتنوعت الاهتمامات ، ولكن موضــــــــوع التقدم ومن هو المتقدم؟ لم أستطع دفعه ، وقد حملني ذلك على قراءة كل بحث أمكنني الوصـــــول إليه ، مستهدفاً التعرف على

الموضوع ، حتى تصورت في فترة أن الجواب يمكن أن أجده في كتب التاريخ أو في "تفسير التاريخ" وحملني ذلك على أن أكتب في هذا الميدان كـتــــاباً ، ثم تابعت ما يكتب عن التغير والتطور وعن الثوابت وماهيتها.

الدكتور: زكي نجيب محمود ونظريته

قد قرأت أخيراً للدكتور زكي نجيب محمود ، فوجدته يحمل هذا الاهـتـمــام حتى ليقول (1) (... إن قضية الجمع بين أصالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ، ربما كانت أهـــم مــــا تعرضت له من اهتمامات بالتفكير وبالكتابة ، ثم ما هو أكثر من ذلك ، فقد أصبحت. على يقين من أن هذه المسألة هي أم المسائل الثقافية فيه جميعاً... إذ هي حقاً القضية التي يصح أن نقول حيالها قولة "هاملت" في أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال).

يعترف بعد ذلك الرجل بصراحة بأنه في أول حياته العلمية ، وحتى أواسط الستينات من القــرن الميلادي ، لا يرى في الحياة القومية(2) (إلا صورة واحدة ، هي صورة الحياة كما يحياها من أبدعوا حضارة هذا العصر...).

فـقـد اتخذ من حضارة الغرب مقياساً يقيس به شعوب الأرض قاطبة ، فكل من اقترب من الغرب وحضارته فهو متقدم ، ومن ابتعد فهو متأخر(3) (هكذا كان الرأي عندي حتى لقد بلغت فيه حدوداً من التطرف، الذي لم يعرف لنفسه حيطة وحذراً). ثم يعقب على ذلك: بأن الأمر كان يبدو له وكأنه مجرد بدهية من البدهيات ، التي لا تحتاج حتى إلى البحث أو التأمل.

ثم يحاول طرح نظرية تزرع نوعاً من الوئام والسلام بين "الأصالة والحداثة" وقد حمله هذا الاهتمام ، لقراءة التراث ، بعد أن وضع لنفسه منهجاً ، وراح على أساسه يقرأ التراث ، وسيطرت عليه فكرة "التطور" سيطرة أفسدت عليه منهجه ، كما استحضر بعض قراءاته للفكر الاستشراقي الغربي ، معتبراً بعض مقولاته مسلّمات من مثل(4) (إن الثقافة تراثنا هي ثقافة صدق المقولة فهو يحاول البحث لها عما يسندها فيقول :(5) (ثقافتنا الموروثة ثقافة مدارها "الكلمة" وثقافة عصرنا مدارها "الجهاز".... فبينما الكلمة الموروثة توحي إليه بشيء ، تجئ "الأجهزة" فتوصي إليه بنقيضه ، وبين النقيضين يقع - أي الإنسان عندنا- فريسة سهلة) ثم يردد مقولة المستشرقين ويضج أمامها "كيف" فيقول:(6) (كيف غلبت النظرة العلمية على اليونان والغرب كله بعدهم - وغلبت النزعة الصوفية على الشرق الأقصى)؟.

ولكنه وهو يحاول وضع منهج سلام بين "الأصالة والحداثة" ، يقول بأن الثقافة العربية كان لها القدرة على الجمع بين النظر العلمي والوجدان الصوفي.

أسئلة لتحديد المراد :

يطرح سؤالين حول الموقف الحضاري للأمة العربية اليوم هما:(7)

1- ما هي أهم العناصر التي نعنيها حين نتحدث عن الشخصية العربية (الأصلية) وأعتقد أنها "الأصيلة"؟.

2- ما هي أهم العناصر التي تتألف منها بنية الثقافة العصرية؟.
ويرى أن تحديد ذلك يساهم في صنع "المركب الواحد" وعن الشق الأول ، يرى أن هناك ذاتا إلهية خالقة ، وعالم كائنات مخلوق لذات الله ، وبينهما كائن ميزه خالقه فجعله حاملى "أمانة " ذلك هو الإنسان ، وهو(8) (كائن خلقي بمعنى أنه مكلف بأن يحقق في سلوكه قيمة أخلاقية محددة معينة ، أمليت عليه ولم تكن من اختياره ، فليس من حقه أن ينسخ بعضها ، وأن يضيف إليها ما يناقضها).
ثم يضيف الدكتور أن هذا "التكليف" الأخلاقي لا يكتمل معناه إلا بالمسؤولية ، وهي أخلاقية وشخصية ، فلا يحملها أحد عن أحد.(9)
ثم يذكر أن الثقافات الأخرى لها مفاهيم مختلفة ، فالبعض يرى الأخلاق "واقعية" فما ثبت نفعه ، التزمناه ، وما ظهر ضرره تركناه ، ونظراً لتبدل النفع والضرر فإن المبادئ الأخلاقية "نسبية" وغير مطلقة ، والبعض الآخر يرى أن للإنسان مطلق الحرية أن يتخذ لنفسه ما يشاء من قرارات ، بشرط واحد: هو أن يكون مسؤولاً عن قراره ، ولا أحد يمكنه أن يملي عليه مهما كان. ثم يقرر الدكتور أن الوقفة العربية مختلفة عن كلا المذهبين .
لو أمسكنا بالقيم الثابتة الموضوعة لنا تعرضنا لخطر الجمود ولو سبحنا أحراراً مع تيار الزمن وتغيراته ، تعرضنا لانحلال الشخصية ، وغاية ما أستطيع قوله في هذا الصدد ، هو أن قيمنا الأخلاقية الموروثة ، فيها من السعة ما يمكننا من التصرف في إطارها بدرجة من الحرية ، تكفي للحركة مع سرعة الإيقاع في عصرنا. ومن مميزات الثقافة العربية كذلك تلك الرغبة الشديدة عند الإنسان في أن يتسامى على دنيا الحوادث المتغيرة ، لياذاً بما هو ثابت ودائم ، فكل ما في الأرض والسماء فان وزائل متغير أبداً يتحول أبداً ، ففيم التمسك به ، وهو عاجز عن التماسك بذاته؟ أليس ثمة مرفأ بمأمن من أعاصير الفناء ، والصيرورة والتغير الدائب ، من حال إلى حال؟ لنحتمي بمثل هذا المرفأ فنسلم....)..
هــذا الـكــلام وإن كان ظاهره جيد إلا أنه غير صاف تماماً من لونه المتطور ثم إن الدكتور ينساه حين يتذكر التربية "العلمانية" والتعليم العلماني،الذي تغذاه منذ صغره حتى كبره، ينسى كل ذلك حين يباشر الحديث عن "التقدم"

التقدم

يطرح الكاتب سؤالاً(10) (كيف ألتزمُ النظرة العلمية الصارمة ، لأساير عصري ، وأن أظل مع ذلك تواقاً إلى غيب وراء الشهادة ، يتحقق لي فيه الخـلـــــود والدوام ، لأظل محتفظاً بهذه السمة الغريبة في نظري؟).
سؤال جيد ، أحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد أجاب عـنـه حين قرر: أن لا تعارض بين العقل والنقل ، فإذا وجد التعارض أخذنا بالقطعي منهما.

بعد هذا تطغى على الدكتور النزعة والتربية العلمانية فـيقــول(11) (إني لأرجح أن يكون الحل في أن نعيش في عالمين يتكاملان ولا يتعارضان ، بشرط ألا نسمع لأحدهما أن يتدخل في مجال الآخر).
هذه هي العلمانية (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ولنقرأ كـــــذلك(12) (بغـيـر هذا الفصل الحاد بين العالمين يستحيل علينا التوفيق بين علمية العصر ، وصوفية الأصل الموروث).
أنا لا ألوم الدكتور فتربيته وتعليمه جاءت علمانية ، وقد أفسدت عليه رؤاه ، كما أفسدت منهجه ، وإذا كان الغرب - لأسباب خاصة - تبنى العلمانية ؛ فلا يعني ذلك وجوب أن نتبناها ، ذلك أن الإسلام غير النصرانية الكنسية ، والشروط الموضوعية غير متوفرة عندنا ، وليس هنا مجال بحث العلمانية ، وبشروطها الموضوعية.

التقدم ، المبادئ ، التغير ، الفردية

بعد هذا يحـاول الــدكـتــور الـتـعــريف بثقافة العصر،فيرى من المفيد دراسة "التقدم"، "المبادئ"، "التغير"، "الفردية"، والهدف بيان أبعادها في الفكر المعاصر .
ويهمنا بحثه في "الـتـقـــدم" الذي يرى فيه أنه أبرز ما يميز العصر الحديث كله ، ومنذ ثلاثة قرون وحتى اليوم (13).
وخطورة البحث أنه جاء مـنـحــازاً كلياً ، وجنح الكاتب إلى الوصف الأدبي ، فلنقرأ(14) (إنك لكي تتقدم من حالة إلى حـــالة ، لابد أن تعد الحالة الأولى متخلفة بالنسبة للحالة الثانية ، فالنقلة لا تكون تقدماً إلا إذا كان وراء ذلك فرض هو أنها نقلة مما هو أسوأ ، إلى ما هو أفضل ، لا مما هو حسن إلى ما هو حسن آخر ، فضلاً عن أن تكون نقلة من الأفضل إلى الأسوأ ، ومعنى ذلك أن "الماضي" دائماً، وفي كل الظروف، أقل صلاحية من الحاضر، ذلك إن زعمنا أن الحضارة "تقدم" وإلا فقدت هذه الكلمة معناها.
وههنا نضع أصابعنا على ركيزة أولى ، لا محيص لنا عن قبولها إذا أردنا أن نشرب بروح عصرنا ، وهي أن نزيل عن الماضي كل ما نتوهمه له من عصمة وكمال...).

من اليونان إلى هيغل وماركس إلى د. زكي

الـــذي لا أشـــــك فيه أن الدكتور زكي بحكم دراسته الفلسفة ، قد اطلع على فكرة : أن الحضارة في تقدم مـطـــرد ، حيث قال بذلك بعض فلاسفة اليونان ، ثم جاء هيغل فجعل منها نظرية ، فسر بها تاريخ الإنسانية ، حيث اعتبره "صراع متناقضات" ، كما قال بأن كل عهد يـأتي يكون أرقى من سابقه ، والحضارة التالية يجب أن تكون أرقى من سابقتها ، بل إن أوجه الحضارة في رقي دائم لا سبيل إلى مقاومتها ، وقد نقلت الماركسية ذلك عن معلمها "هيغل" حرفياً وسلمت به - وإن لم تكف عن شتمه -.

ولكنّ مؤرخاً مثل توينبي يـقـــــول (15) (لقد ارتقى علمنا فبلغ درجة لم يسبق أن بلغها ، ومع ذلك فقد انتكسنا في نفس الوقت في الحروب الطبقية والقومية والعنصرية ، إلى أعماق قد لا يكون سمع بها أحد قبلنا ، وهذه المشاعر السيئة ، تجد لها متنفساً في أعماق القسوة الغليظة المصممة علمياً).
لقد تحمس الدكتور زكي فاندفع يؤيد "نظرياته" بأقوى من المنادين بها.

- يتبع -

منتدى القراء

تعقيب على مقال

د . محمد آمحزون

عادل بن عمر المقرن

المكرم مدير تحرير مجلة البيان سدّده الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد:
فـهـذا تعقيب بسيط على مقال الدكـتــور الفاضل محمد آمحزون في البيان 66 تحت عنوان (الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العهد الأموي) ، ويرتكز على أمرين هما:
- أولاً: ورد فـي الصفـحة (40) [فأول من تكلم في الإرجاء الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي المدنــي (ت سنة 99 هـ)...] ، فيلزم التنبيه هنا- حتى لا يحدث لبس أو سوء فهم - على أن الإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد بن الحنفية ليس الإرجاء المتعلق بالإيمان والذي يعيبه أهـــل السنة ، وإنما هو إرجاء أمر المشتركين في الفتنة بعد خلافة الشيخين -رضي الله عنهما- إلى الله عز وجل. ويتضح لنا ذلك من أن ابن حجر- رحمه الله - قد اطلّع على الـكـتــاب الذي وضعه الحسن بن محمد في الإرجاء ، [فـيـقـول ابن حجر: المراد بالإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد غير الإرجاء الذي يعيبه أهــــل السنة:المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب محمد بن الحسن المذكور... إلخ](1)
فبالتالي الإرجاء المتعلق بالإيمان لم يعرّج عليه.
ثانياً : ورد في الصفحة(41) [الإرجاء الخاص بالصحابة....]. ، والأحوط حتى لا يحدث لـبـس فـي الـمعنى- فيظن ظان أن الصحابة رضوان الله عليهم قد وقع بينهم الإرجاء- أن تكون العبارة "الإرجاء الخاص بأمر الصحابة"(2).
والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 1/ 26-27 تحقيق د. أحمد سعد حمدان.
نشر دار طيبة- الرياض.
(2) من نسبة الفضل إلى أهله ، أشار إلى هذه الملاحظة فضيلة الشيخ عبد العزيز قاري - عند مناقشة رسالة الدكتوراة لفضيلة الشيخ د. سفر الحوالي.

ردود قصيرة

يـسعدنا تواصل القراء مع مجلة الـبـيـــان وتعقـيـباتهم وتنبيهاتهم لما ينشر في هذه المجلة ويسرنا. الإجابة على بعض ما وردنا مؤخراً بما يلي:
1 - تنبـيه الأستاذ حمد بن إبراهيم الحريقي - الريـاض - السعودية ، ومما ذكره من أن الحـديـث المذكور في حاشية الصفحة 24 من العدد(67) "إنك إن تتبعت عـــورات الناس أفـسـدتهم أو كدت تفسدهم". بأنه ليس كما أشير إليه في صحيح البخاري وبعــد مراجعتنا الحديث تبين لنا أن (الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ج 6/ 4 وعند أبي داود فـي الأدب / باب النهي عن التجسس / بلفظ (إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم). ورواه البيهقي فـي شـعـــب الايمان وورد في مشكاة المصابيح بتحقيق العلامة الألباني رقــم 3709. والبـغــوي في شرح الـسـنـــة 13/106 وكذلك في جامع الأصول ج/4/83 ونـحــن بدورنا نشكر الأخ الكريم.
2- الأستاذ إبراهيم بن عبد الرحمن الخنفور اقتراحك جيد وقد أرسلت لك رسالة خاصة.
3- الأخت عفاف الدريهمي/ يسـعــدنا تقديرك للمجلة والقائمين عليها والمجلة لا تنشر المختارات. وننتظر منك مشاركات قادمة إن شاء الله.
4 - الأخوة الكرام/محمد سعيد الزهراني، أحمد السيف، زيد الرماني، أحمد العجروش، عبد الله النمري ، عزيزة النصار ، محمد أبو عزام، مشاركتكم وصلت وهي محل الدراسة.
5- الأخت ذات النطاقـيــن مـشاركتك وصلت ويلزم ذكر الاسم الصريح ولا مانع من النشر بالاسم الرمزي بعد ذلك. وسنتطرق للرسائل الأخرى في الاعداد القادمة بأذن الله.

من أنشطة المنتدى الإسلامي الصيفية (2)

ثانيا : المؤتمر الأول للدعاة في غرب إفريقيا (غانا)

انعقد هذا المؤتمر فـي الفترة من 13/8/1993 إلى 22/8/1993 في مدينة ونيشي بغانا حيث يوجد مشروع (ونيشي التعليمي) التابع للمركز . وبهدف هذا

المؤتمر إلى جمع أكبر عدد من الدعاة في دولة غانا والدول المجاورة لتبادل الآراء والخبرات الدعوية وعرض أهم العقبات التي تواجه الدعوة في كل دولة وحلها.

شارك في المؤتمر وفود تمثل الدول التالية :

غانا وهي الدولة الـمضيفة للمؤتمر وشارك منها 40 داعية ، توجو وشارك منها 24 داعية بوركينا فاسو وشارك منها 23 داعية ، بنين وشارك منها25 داعية ، ساحل العاج وشارك منها 19 داعية.

وعقد المؤتمر تحت شـعـــار ((واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا)) وكان برنامج المؤتمر قسمين:

- المحاضرات في التوعية والتوجيه وألقاها الدعاة الضيوف على المؤتمر.
- كلمات موجزة بعد الصلوات وندوات وبحوث علمية شاركت فيها الوفود المشاركة.

المحاضرات اليومية للمؤتمر كما يلي :

1- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .
2- منهج الاستدلال والتلقي عند أهل السنة .
3- العلمانية وأثارها الخطيرة في العالم الإسلامي .
4 - أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم .
5- مقاصد التشريع الإسلامي .
6- التوحيد مفتاح دعوة الرسل .
7- منزلة الصحابة وحكم القوم فيهم .
8- العلم الشرعي ضرورته وأهميته .

أهم البحوث والندوات التي تشارك بها وفيها الوفود :

1- الإيمان شروطه وآثاره ونواقضه .
2- تاريخ الدعوة السلفية في كل دولة.
3- سجود السهو وأحكامه .
4 - شروط كلمة التوحيد .
5 - الأخوة الإسلامية وثمراتها.
6- مشكلات الدعوة والدعاة والحلول المطروحة .
7- الفرق المنتمية للإسلام ونشاطها في كل دولة .
8- أنشطة الدعاة في دولهم والخطط المستقبلية .
9- تعليم العربية والإسلام في إفريقيا الواقع والحلول.

وفي آخر يومين من المؤتمر أجريت مسابقة في الـقـرآن الكريم لإعداد البحوث العلمية بين أعضاء الوفود المشاركة وفي اليوم الأخير وزعت جـوائـــــز على الفائزين بأفضل البحوث وكانت الجوائز تذكرة عمرة للشخصية المثالية في المؤتمر وكفــالة داعية لمدة سنة فاز بها خمس دعاة

واشتراك بمجلة البيان وفاز بها عشر دعاة مع توزيع شهادات. التقدير على جميع المشاركين وبعض الهدايا المفيدة كالكتب والرسائل والأشرطة المسجلة للمحاضرات الإسلامية القيمة.

ثالثاً : الدورة التدريبية للخريجين في مالي:

وقد نظمها المنتدى الإسلامي بالتعاون مع رابطة الدعاة بمالي في الفترة من 27/ 1/ 1414 إلى 6/2/1414هـ في المعهد الإسلامي وكان عدد المشاركين خمسين مشاركاً من مختلف أقاليم (مالي) وبعد حفل الافتتاح ابتدأت الدورة التي تضمنت العديد من المحاضرات ومن أهمها (صفات الداعية) ، و(غزوة أحد دروس وعبر) و(تقسيم الحديث) و(مقاصد الشريعة) و(وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم). وعقدت ندوتان بالمؤتمر وهما:

1- دور الإعلام في العمل الإسلامي.

2- واقع المسلمين في مالي.

وقد تم تقسيم المشاركين في قاعتين دراسيتين وتخصيص صالة للأنشطة وكان عدد المحاضرات في اليوم خمس محاضرات لمدة عشرة أيام متتالية.

رابعاً :- الدورة التدريبية للأئمة والدعاة في بنجلاديش

وقام المنتدى الإسلامي بهذه الدورة في الفترة من 15/11/1413 إلى 9/2/1414هـ - وكان منهج هذه الدورة مملوءاً بالمواد الهامة في العقيدة والتفسير والفقه والدعوة والقرآن وتجويده وقام بالتدريس نخبة من الأساتذة والدعاة،وكان البرنامج اليومي للمتدربين يمتد خلال24 ساعة وقد جهز السكن والتغذية وقدمت مكافآت رمزية للمتدربين وكان الحوار والمشاركات باللغة العربية.

خامساً :- الدورة الشرعية الأولى في مبماسا بكينيا:

عقدت في معهد الشيخ خليفة بن راشد في الفترة من 1/3/1414هـ إلى 10/3/1414هـ بإشراف المنتدى الإسلامي بهدف تشخيص الداء في أوساط الدعاة إلى الله ووصف الدواء المناسب لهم. وشارك في هذه الدورة العديد من الشباب المتخرجين من الجامعات الإسلامية ممن يعملون في مجال الدعوة في كل من كينيا وتنزانيا وأوغندا والصومال . وكان برنامج الدورة محتوياً على العديد من المحاضرات والندوات المختلفة وقد تجاوزت أنشطة الدورة إلى المساجد بماسا وما حولها حيث كان العلماء والدعاة المشاركون يلقون محاضراتهم وتترجم للسواحلية من قبل الشباب المشاركين وقد طالب المشاركون بأن تعقد مثل هذه الدورة كل عام لما وجدوا فيها من الفوائد وتنشيط الهمم والتعاون وتوحيد الكلمة. وقد أعدت جوائز قيمة للمشاركين وهي تذكرة عمرة ومراجع قيمة.

الورقة الأخيرة

تعالوا بنا نحدد الهدف

د. محمد بن ظافر الشهري

فيما ينتشر طبق الاستقبال (الدش) فـي بـلاد المسلمين انتشار النار في الهشيم ، تحدث في أوربا - وفي ألمانيا بالتحديد- قصة لأحد الـمبتعثين العرب ، وهذه القصة جديرة بالوقوف عندها ملياً للتفكر والاعتبار.
لقد اشترى هذا العربي طبق استقبال "دش" بمائتين وخمسين ماركاً تقريباً ، مُعَللاً إقدامه على هذا الفعل بأنه "يحتاج" إلى التقاط محطات تتحدث الإنجليزية لأن المحطات السِّت في ألمانيا تتحدث جميعاً الألمانية "الفصحى"، وعـنـدما أراد صاحبنا من الشركة أن تركب الجهاز على المنزل الذي يسكن فيه "أمرته" الشركـــة أن يحضر موافقة خطية من صاحب المنزل ، فرضخ لأمرهم ولسان حاله يقول "ودارهم مـــا دمت في دارهم" ، وظنّ الرجل أن موافقة صاحب المنزل "مضمونة" وحمد الله الذي سلمنا - نحن المسلمين - من هذه الأمور "الشكلية" فنحن نبيع ونشتري ونركب هذه الأطباق بمنتهى الحرية.
ونعود إلى صاحب المنزل الذي كان امتعاضه شديداً لدى علمه بهذا الأمر ، لأن "الألماني" يرى أنه "يجب" أن يستأذن قبل شراء الجهاز ولهذا فقد شدد على وجوب الانتظار ثلاثة أشهر حتى يعرض الأمر على مجلس الحي "ليتـشـاوروا" ويخرجوا في هذه "النازلة" بقول فصل ، كما حذر من مغبة استخدام الجهاز ولو في داخل غرف المنزل!.
وبعد ثلاثــة أشـهـــر قرر مجلس الحي أنه لا يمكن السماح بمثل هذا الفعل بأي حال من الأحوال ، وأكد المـجـلـــس أن هـــذا ليس تدخلاً في الحريات الشخصية ولا هو من قبيل التراجع عن المبادئ "الديمقراطية" ولكنه حق من حقوق "ألمانيا" التي جاءت بهذا العربي ليرجع بالفكر الألماني ولا شيء غير الـفـكــر الألماني . وهناك تبرير آخر أورده "المجلس" وهو أن السماح لهذا الغريب باستخدام طـبــق الاستقـبـال ربما أدى إلى انتشار هذه العادة السيئة في أوساط الألمانيين في البلد وهذا أمر خطير للغاية!!
لقد أصابتني الدهشة عندما علمت بأحداث هذه الـقـصــة فمن المؤكد أن الألمان لا يرفضون انتشار الأطباق خوفاً من الإباحية فهم أربابها والسابقون إلـيـهــا ، كما أن الرفض لم يكن لأسباب دينية أو اقتصادية "مباشرة ، ، ولكن السبب الحقيقي - بـعـــد التأمل - هو أن الألمان يحملون في صدورهم عقيدة" "ألمانيا قبل كل شيء" ، وقد جعلوا مــن هـــذه العقيدة هدفاً يعملون من أجله ويتحمسون له بل ويقاتلون في سبيله.
إذا كان هؤلاء القوم حملوا هذا المبدأ الهزيل المتهافت ، الذي هو عبادة للتراب ، ولكنهم اتفقوا على العمل من أجله فتحقق لهم من القوة المادية ما

لا يخفى على أحد اليوم، فكيف بمن يصدق في حمل عقيدة ((قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ)) [الأنعام:162،163] إن الأمة التي تحمل هذه العقـيــدة وتخلص في العمل من أجلها وتجعلها همها الأول والأخير وتغرسها في قلب كــل رجل وامرأة بل وفي قلب كل طفل ، لا يمكن إلا أن يمكن لها في الأرض وتتحقق لها القوة الروحية والمادية وتقوم بالخلافة في الأرض على الوجه الأكمل الذي يرضاه الله تعالى معه ((وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ))[الحج:40،41] .

تمت بعون الله والحمد لله
